بسم الله الرحمن الرحيم



شرح اسمي (الرحمن – الرحيم) مُفصلا

أ/ ريم عبد الفتاح

المشرفة العامة على أكاديمية همتي رُقي أُمتي

♦ شمل الشرح النقاط التالية:-

- عدد مرات وُرود الاسم في القرآن.
- المعاني التي يدور حولها الاسم.
- الفرق بين رحمة الخالق ورحمة المخلوق.
- سر ترتيب {بسم الله الرحمن الرحيم}
- اقتران اسم)الرحمن الرحيم(مع غيرهما.
- الآيات التي ورد فيها الاسم.
- الآثار المترتبة على الإيمان باسم الله)الرحمن الرحيم (
- كيفية التعبد لله -عز وجل- باسميهِ)الرحمن الرحيم (
- المعاني التي ورد فيها لفظ الرحمة في القرآن.
- الفرق بين رحمة الله -عز وجل- ورحمة المخلوق.
- الحديث عن آثار رحمة الله -عز وجل- في الخلق.
- اجتهاد العبد في تحصيل هذه الرحمة.
- حظ العبد من الإيمان باسم الله)الرحمن الرحيم.(
- حظ العبد من اقتران الاسمين معاً.

□حديث ابن عاشور في كتابهِ "التحرير والتنوير" حول قوله تعالى:
{وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ}
[سُورَةُ الأَنبِيَاءِ: ١٠٧]

□ صفات عباد الرحمن التي ذكرها الله -عز وجل- في سورة الفرقان.

□ بعض الوقفات التدبرية التي ذكرها بعض المفسرين عن عباد الرحمن.

مفرغ من دروس الأستاذة الفضلى أمة العزيز/

ريم عبد الفتاح

جزاها الله عنا خير الجزاء

لسماع الدرس صوتيًا ادخلي لقناة شرح أسماء الله الحسنى (للنساء فقط)

https://t.me/joinchat/O9Z_VRUyyPuVdW82

□ مُقدمة:

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله تعالى فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً،
ثم أما بعد،

فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى، وإن خير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم- وشر الأمور مُحدثاتها، وإن كل مُحدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة، وإن كل ضلالة في النار، ثم أما بعد،

اللهم إنا نسألك علماً نافعاً، وأعوذ بك من علمٍ لا ينفع. اللهم إنا نسألك علماً يُباشر قلوبنا فتخشع وتنيب وتخبت لك يا رب العالمين. اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما. اللهم اهدنا لما أُختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاءُ إلى صراطٍ مستقيم. اللهم اهدنا إلى الصراط المستقيم يا رب العالمين.

{رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ} [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ٨]

الحمد لله يا أخوات أن مَنَّ الله -عز وجل- علينا بهذا المجلس. أسأل الله -عز وجل- أن يُبارك لنا وأن ييسر لنا أمرنا، وأن يوفقنا دوما للعلم النافع والعمل الصالح. اللهم وفقنا دوماً يا رب للعلم النافع والعمل الصالح.

سبحان الله! لابد أن نحمد الله -عز وجل- على كل شيء، لابد أن نحمد الله -عز وجل- أن وفقنا لهذا الدرس وأعاننا. أسأل الله -عز وجل- أن يجعلنا دوما من الشاكرين الحامدين. اللهم وفقنا دوماً يا رب.

 ولكي يُنتفع بالعلم يا أخوات لابد من أمرين:-

اولاً: تطهير القلب لأن العلم يُنتفع به صاحب القلب الطاهر الخاشع. {إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} [سورة ق آية ٣٧] اسأل الله عز وجل أن يرزقنا قلوباً خاشعة طاهرة.

ثانياً: لابد من العمل بالعلم (وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتًا) [سورة النساء آية ٦٦]

ولو أنهم (فعلوا) فالعبرة بالفعل (فعلوا)، ليس الأمر أن نستمع إلى درس علم فقط؛ لابد أن أعقد العزم من البداية على العمل. أسأل الله -عز وجل- أن يوفقنا للعمل، وأن يفتح لنا فتحا مبيناً، وأن يُيسر لنا كل أبواب الخير.

(الدرس الأول)

اسمي الله)الرحمن الرحيم (

بحول الله وقوته أبدأ الآن الدرس الأول من شرح اسم الله) الرحمن الرحيم(، أسأل الله -عز وجل- أن يفتح لنا فتحاً مُبيناً، وأن يوفقنا دوماً لكل ما يُحب ويرضى، فإنه ولي ذلك والقادر عليه، وأن يرزقنا التعبد له سبحانه به كل اسمائه الحسنى، إن شاء الله سوف نسير في شرح الاسم في ثلاث أو أربع لقاءات.

♦سوف أتحدث خلال اللقاءات عن:

- عدد مرات وُرود الاسم في القرآن.
- المعاني التي يدور حولها الاسم.
- الفرق بين رحمة الخالق ورحمة المخلوق.
- سر ترتيب {بسم الله الرحمن الرحيم}
- اقتران اسم)الرحمن الرحيم(مع غيرهما.
- الآيات التي ورد فيها الاسم.
- الآثار المترتبة على الإيمان باسم الله)الرحمن الرحيم (

□ كيفية التعبد لله -عز وجل- باسميهِ)الرحمن الرحيم (

♦عدد مرات وُرود)الرحمن الرحيم(في القرآن:

✓وَرَدَ اسم الله الرحمن في القرآن الكريم سبعة وخمسين مرة.

جاء في البسملة {بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ} [سُورَةُ الفَاتِحَةِ: ١]
كذلك جاء في سورة البقرة ومريم والفرقان.

✓وَرَدَ اسم الله الرحمن في القرآن الكريم واحد وخمسين مرة منفرداً

✓اقترن اسم الله)الرحمن الرحيم(ست مرات
في كتاب الله، كما في البسملة والفاتحة.

✓لم يُقترن اسم الله الرحمن إلا باسم الله الرحيم.

✓توجد سورة في القرآن الكريم تُسمى)سورة الرحمن(

✓أكثر سورة وَردَ فيها اسم الله الرحمن هي (سورة مريم)

✓لم يُسبق اسم الرحمن بأي اسم من اسماء الله الحسنى إلا بلفظ الجلالة (الله)

✓وَرَدَ اسم الله الرحيم في كتاب الله مائة وخمسة عشر مرة

{فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ}
[سُورَةُ البَقَرَةِ: ٣٧]

✅جاء اسم الله الرحيم ثلاثة مرات مُنفرداً في القرآن الكريم.
كما في قولهِ، {وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا} [سُورَةُ الأَحۡزَابِ: ٤٣]

♦المعاني التي يدور حولها الاسم:

(الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

تفسير السعدي:

اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعَمت كل حي، وكتبها للمتقين المُتَبِعين لأنبيائه ورسله. فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم فلهم نصيب منها، (رحمن رحيم) ذو الرحمة التي اتصف بها.المتعلقة بالمرحوم. فالنعم كلها، أثر من آثار رحمته.

● جاء في فقه الأسماء الحُسنى أن (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) اسمان جليلان كَثُرَ ورودهما في القرآن الكريم، كما في قولهِ تعالى،
{الرَّحمـنُ عَلَى العَرشِ استَوَى} [طه: ٥]
{وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا} [سُورَةُ الأَحۡزَابِ: ٤٣]

●لهذين الاسمين شأنٌ كبير ومكانة عظيمة؛ فهما الاسمان اللّذان افتتح الله بهما أمَّ القرآن - الفاتحة- وجعلهما عنوان ما أنزله من

الهدى والبيان، {ٱلرَّحۡمَـٰنُ} {عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ } {خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ}
{عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ} [سُورَةُ الرَّحۡمَٰن: ١-٤] وضِمنهُما الكلمة التي لا
يثبت لها شيطان، وافتتح بها كتباه نبيُّ الله سليمان -عليه السلام-
{إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ} [سُورَةُ النَّمۡل: ٣٠]
وكان جبريل ينزلُ بها على النبيِّ ﷺ عند افتتاح كلِّ سورةٍ من
القرآن.

● إذاً)الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(لها مكانة عظيمة، وهما أكثر الأسماء
وروداً في كتاب الله -عز وجل- وهذا يجعلنا نقف وقفة تدبرية مع
هذين الاسمين، ونعرف كيف يجب علينا أن نتعبد بهذين الاسمين
لله، وما هو أكبر حظ نخرج به من التعبد لله -عز وجل- باسميه
)الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(

) ●الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(المُتصف بالرحمة العظيمة، التي لا يُماثلُها
رحمة أحد، فقد وسعت كل شيء وعمت كل حي، فبرحمته وُجدت
المُخلوقات، وبرحمته حصلت لها أنواع الكمالات، وبرحمته اندفع
عنها كل نقمة.

● أيضا في قول الله -عز وجل- {وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَـٰرُونُ مِن قَبۡلُ
يَـٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِى}
[سُورَةُ طه: ٩٠]
)الرَّحْمَنِ(الذي منه النعم الظاهرة والباطنة، الدافع للنقم،

□المعنى اللغوي:

) ●الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(من مادة)رَحِمَ(بمعنى الرأفة والعطف
والرقة، يُقال من ذلك رَحِمَهُ، يَرحَمَهُ إذا رق له وتعطف عليه، أي
أودع له الرحمة، أو سأله الرحمة.

● سُمي أيضاً رَحِم الأُنثى رَحِماً من هذا، لأن منها ما يكون ما يرحم ويرق له من ولد؛ أي للدلالة على ما يكون لدى الأُم من الرحمة والرأفة والشفقة على ولدها.

إذاً المعاني التي يدور حولها)الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(تَدُل على الرحمة العظيمة التي وسعت كل شيء.

● أكبر حظ يخرج منه العبد من الإيمان بسم الله)الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(أن نجتهد في تحقيق الرحمة، ونتعبد لله -عز وجل- باسمه)الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(ونجتهد للاتصاف بهذه الصفة العظيمة.

□الفرق بين (الرَّحْمَنِ) و (الرَّحِيمِ):

أولا:)الرَّحْمَنِ(وصف لله -عز وجل- وحده، أما)الرَّحِيمِ(فوصف لله ولغيره من البشر.
فيُمكن القول بأن فلان رحيم بالناس، لكن لا يُمكن القول بأن فلان رحمن.

ثانياً:) الرَّحْمَنِ(على وزن فعلان، وهي رحمة شملت المؤمن والكافر، أما)الرَّحِيمِ(فهي على وزن فعيل، أي شديد الرحمة، وهي رحمة خاصة بالمؤمنين فقط.

✶فائدة اقتران (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ):

● دائماً ما ينتج عن اقتران الأسماء معنى جديد، فإذا دَل اسم الله الرحمن على الرحمة، ودل اسم الله الرحيم على الرحمة، فإن اقترانهما يعطي معنى ثالث.

● ذكر ابن القيم أن اقتران)الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(يدل على الإنباء عن رحمة عاجلة ورحمة آجله، و رحمة عامة ورحمة خاصة، يقول ابن القيم: (أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه وتعالى، والرحيم دال على تَّعلقهما بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دال على أنّ الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته)

ولذلك قال تعالى، {وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيما} [الأحزاب: ٤٣] كذلك قوله تعالى :{إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوف رَّحِيم} [التوبة: ١١٧] ولم يجيء قط أنه رحمن بهم، فعُلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة، و الرحيم هو الرحيم برحمته.

●الرَّحْمَنِ رحمة عامة لجميع البشر، وهو وصف لله -عز وجل- فقط، وليس لغيره، فلا يوصف به غيره من البشر، أما الرحيم فهو وصف لله ولغيره من البشر، لذلك دَلَّ عن الانباء عن رحمة عاجلة ورحمة آجله، وكذلك رحمة عامة للجميع المؤمن والكافر، وباسمه الرحيم يخص المؤمن بمزيد من الرحمة.

♦الفرق بين رحمة الله -عز وجل- ورحمة المخلوق:

□ رحمة الله -عز وجل- غير مخلوقة، وهي رحمة أزلية بِأَزليتهُ سبحانه، أما رحمة الخَلق مخلوقة، فالإنسان مخلوق سوف يموت، وكذلك رحمته تنتهي بموته.

- رحمة الله وسعت كل شيء، القريب والبعيد، والضعيف والقوي، أما رحمة المخلوق محدودة، يرحم القريب دون البعيد، والضعيف دون غيره.

- رحمة الخلق تتأثر بالألم، وتختلف باللهفة والضعف لمن يرحم، فقد تتأثر الأُم مثلاً وتحزن إذا أصاب ولدها بمكروه أو أذى؛ لكن الله -عز وجل- لا يتألم ولا يحزن، فهو سبحانه يرحم من قوة ويعفو من قدرة ويغفر من عزه.

♦سر الترتيب {بسم الله الرحمن الرحيم}:

هناك بعض الأقوال في سبب ترتيب)الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(، سوف أذكر بعض منها:

- قال بعض العلماء: وأتى اسم الله الأول لأن الألوهية الحق الخالصة لا تَكون إلا لله -عز وجل- وحده، لا أحد أبداً يُوصف باسم الله، كذلك صفة الألوهية تُشير إلى القهر والقدرة، وذكرت مرة واحدة، فهو هو الله الإله المعبود. لذلك بدأ باسم الله الله أولاً،

ثم ذكر اسم الله الرحمن الذي يدل على الرحمة، وهناك من اتصف بالرحمة من البشر، وهنا اجتمع اسم الله الذي لا يُوصف به غيره مع صفة الرحمة، نتج منهما أن هذه الرحمة خالصة لله -عز وجل- .

ثم بعد ذلك ذكر الرحيم لأن الرحيم وصف لله ولغيره من البشر؛ وأن رحمته شملت المؤمن فقط.

□ ذكر اسم الله الذي يُشير إلى القهر والقدرة مرة واحدة، بينما ذكر صفة الرحمة مرتين في) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(وهذا دليل على أن رحمة الله -عز وجل- أكثر من قهرهِ وأن رحمتهِ غلبت غضبهِ.

□ ذُكر ترتيب)الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(في البسملة في بداية السور، وفي سورة الفاتحة أيضاً، و قيل بأن الحكمة من ذلك: وكأن الله -عز وجل- قال: أذكر أني إله ورب مرة واحدة؛ وأني رحمن رحيم مرتين ليُعلم أن العناية بالرحمة أكثر منه بسائر الأمور.

□ قيل كُررت)الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(لتوكيد صفة الرحمة.

□ قيل لأن المعنى في الآية الثانية وجب الحمد لأنه)الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(، لقوله تعالى، {ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} {ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ} [سُورَةُ الفَاتِحَةِ: ٢-٣]
أي وجب على العبد أن يحمده لأنه)الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).

□ قيل إن تكرار)الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(لأن الله أنعم على عبده حين يطلب منه.

□ قيل)الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(جاءت بعد)رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ(لأن ربوبية الله -عز وجل- قائمة على الرحمة والرأفة.

□ قيل وذكر في الآية الأَولى المنعِم ولم يذكر المنعَم عليهم، فأَعادها مع ذكرهم، وقال: ربِّ العالمين، الرحمن بهم أَجمعين الرحيم بالمؤمنين خاصَّة يوم الدين، ينعم عليهم ويغفر لهم.

□ يقول ابن القيم: (إنَّ الرَّحْمَةَ، صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد، وإن كرهتها نفسه، وشقَّت عليها، فهذه هي الرَّحْمَةَ الحقيقية، فأرحم النَّاس بك من شقَّ عليك في إيصال مصالحك ودفع المضار عنك، فمن رحمة الأب بولده: أن يكره

على التأدب بالعلم والعمل، ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره، ويمنعه شهواته التي تعود بضرره، ومتى أهمل ذلك من ولده كان لقلة رحمته به، وإن ظن أنَّه يرحمه، ويرفهه، ويريحه، فهذه رحمة مقرونة بجهل كرحمة الأم)

وهذا يُعني أن الرحمة أحياناً يكون معها حزم، حتى لا يعتقد البعض أنها رحمة بدون حزم فيتمادى العبد في الأخطاء والذنوب؛ فالحكيم من وضع الشدة في موضعها واللين في موضعه. لذلك ضرب ابن القيم المثال بالابن حين يُخطئ، وجب على الأب أن لا يُهمل الخطأ رحمةً منه بولدِهِ، حتى يُربيه ويأدبُه، فهذه رحمة معها حزم، وإن كانت رحمة بترفيه ودون عقاب، أصبحت رحمة بجهل كَرحمة الأم.

(ولهذا كان من إتمام رحمة أرحم الراحمين، تسليطُ أنواع البلاء على العبد، فإنه أعلم بمصلحته، فابتلاؤهُ له وامتحانه ومنعه من كثير من أغراضه وشهواته، من رحمته به)

هذا كان نقلاً من كتاب "نضرة النعيم"

 يقول الشيخ السِعدي عن رحمة الله (فقل ما شئت عن رحمته، فإنها فوق ما تقول، وتصور ما شئت، فإنها فوق ذلك، فسبحان من رحم في عدله وعقوبته، كما رحم في فضله وإحسانه ومثوبتهِ، وتعالى من وسعت رحمته كل شيء، وعم كرمه كل حي، وجل من غني عن عباده، رحيم بهم، وهم مفتقرون إليه على الدوام، في جميع أحوالهم، فلا غنى لهم عنه طرفة عين)

♦اقتران اسم (الرحمن الرحيم) (مع غيرهما:

ذكرت أن اقتران أي اسم من أسماء الله الحُسنى مع بعضها يُعطي معنى ثالث، كذلك ذكرت أن اقتران)الرحمن الرحيم(دَلَّ على أنها رحمة عامة ورحمة خاصة، ورحمة عاجلة ورحمة آجله.

✅اقتران (الرحمن الرحيم):

☆ اقترن)الرحمن الرحيم (ستة مرات في كتاب الله، ولم يُقترن)الرحمن(باسم آخر في القرآن إلا بلفظ الجلالة الله و)الرحيم):

{بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ} البسملة
{تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ}[سُورَةُ فُصِّلَتْ: ٢]
{ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ} [الفاتحة: ٣]
{وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ} [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٦٣]
{هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ} [سُورَةُ الحَشۡرِ: ٢٢]
{إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ} [سُورَةُ النَّمۡلِ: ٣٠]

✅اقتران (الغفور الرحيم):

☆ اقترن اسم الله)الغفور الرحيم (ستة وسبعين مرة في كتاب الله، كما في قوله،
{نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ }
[سُورَةُ الحِجۡرِ: ٤٩]

☆ جاء سياق القرآن الكريم بتقديم اسم)الغفور(على اسم)الرحيم(في كل آياته إلا في آية في سورة سبأ، قال تعالى،

{يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ} [سُورَةُ سَبَإٍ: ٢]

) ☆الغفور (أي الذي يغفر ذنوب عباده.

☆ اقتران) الغفور الرحيم(تدل على أن مغفرة الله -عز وجل- لعبادهِ محفوفة بالرحمة، وإذا غفر الله الذنوب لعبادهِ وَفقهُم لِلتوبة.

✅اقتران (العزيز الرحيم):

☆ اقترن اسم الله)العزيز الرحيم (ثلاثة عشر مرة، كما في قوله تعالى،
{وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ} [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: ٢١٧]

) ☆العزيز) أي الذي يعز عبده بالطاعة والاستقامة على أمره سبحانه وتعالى.

☆ اجتماع)العزيز الرحيم(يدل على صفة كمال ثالثة وهي جريان عزته -سبحانه وتعالى- على سُنن الرحمة التي تستلزم إفاضة الخير والإحسان؛ فرحمته سبحانه ناشئة عن قدرة، وقوة، وعزة لا عن ضعف، وعجز،

✅اقتران (التواب الرحيم):

☆اقترن اسم الله)التواب الرحيم (تسعة مرات كما في قوله تعالى،
{فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ} [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٣٧]

(☆التواب(أي تاب الله -عز وجل- على عبده فَوفقه للعمل الصالح.

☆ من آثار وثمار رحمة الله تعالى توفيقه لعباده إلى التوبة ثم قبولها منهم، وهذه صفة الكمال الثالثة التي نتجت عن اقتران)التواب الرحيم.(

☆ توفيق العبد للتوبة ثم قبولها منه يترتب عليه حسن العاقبة، والنجاة من عذاب الله تعالى،وهذه من رحمة الله الخاصة، فعندما تلقي سيدنا آدم كلمات التوبة من الله -عز وجل- والتي كانت {رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ} [سُورَةُ الأَعۡرَافِ: ٢٣] وفقه الله للتوبة بهذه الكلمات، فَتاب الله -عز وجل- عليه.

✓اقتران (الرؤوف الرحيم:(

☆ جاء اقتران) الرؤوف الرحيم (في ثمانية مواضع، كما في قوله تعالى،

{وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ} [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٤٣]

(☆الرؤوف(الرأفة تُعني الرحمة، لكن الرؤوف أخص من الرحيم، لأنه يدل على الرحمة القوية التي تُعطى لمن يستحقها.

(☆الرؤوف الرحيم(يشتركان في معنى العطف والإحسان، لكن الرحيم اسم شامل يشمل كل أنواع العطف، والنعمة والإحسان؛

بينما الرؤوف أخص من الرحيم ويدل على الرحمة القوية التي تُعطى لمن يستحقها.

☆ الجمع بين) الرؤوف الرحيم (في سورة البقرة، أفادت أن الله يرحم الرحمة القوية لِمستحِقها، وأيضاً يرحم رحمة مُطلقة لجميع البشر.

✅اقتران {الرحيم الودود:}

☆ اقترن اسم الله) الرحيم الودود(في مرة واحدة في قوله تعالى، {وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٞ وَدُودٞ].{سُورَةُ هُودٍ: ٩٠]

) ☆الودود(أي أن الله -عز وجل- يرحم عبده، ويغفر له ويرحمه ويتوب عليه.

☆ اقتران)الرحيم الودود(دَلَّ على أن الله -عز وجل- يُحَب عباده التوابين المُنيبين، وهذا من موجبات رحمته.

□الرحمة الحقيقية لابد أن تجمع بين الود والرحمة، وهكذا يجب أن نتخلق ونتعلم من أسماء الله الحُسنى؛ ومن اقتران الأسماء الحُسنى ببعضها، فيجب أن تكون هذه هي أساس العلاقة بين البشر.

يجب أن تقوم العلاقات البشرية على التراحم والمغفرة، وتودد البشر بعضهم إلى بعض، وعدم ذكر بعضنا البعض بسوء؛ وهذا هو سر الرحمة؛ ولا شك أن خُلق الرحمة من أهم الأخلاق التي نفتقدها في زماننا هذا؛ ويتجسد هذا الخُلق في حب الخير للناس، ومساعدتهم وتقديم العون والنصيحة لهم.

إن أكبر حظ يخرج به العبد من التعبد لله -عز وجل- باسمه)الرحمن الرحيم(هو أن يتحلى العبد بالرحمة و الود والمغفرة والتسامح لمن حوله.

إن التخلق بصفات الود والتسامح والمغفرة ليس صعباً، ولكن الأصعب أن ينتقم الإنسان وينتصر لنفسه؛ بل يجب أن يوطن العبد نفسه على طهارة القلب وحُسن السريرة وتَقَبُل الأعذار.

(الدرس الثاني)

بحول الله وقوته أبدأ الآن الدرس الثاني من شرح اسم الله) الرحمن الرحيم(، أسأل الله -عز وجل- أن يفتح لنا فتحاً مُبيناً، وأن يوفقنا دوماً لكل ما يُحب ويرضى، فإنه ولي ذلك والقادر عليه، وأن يرزقنا التعبد له سبحانه به كل اسمائه الحسنى.

♦في هذا الدرس سوف أتحدث عن:

- المعاني التي ورد فيها لفظ الرحمة في القرآن.
- الآثار المترتبة على الإيمان باسم الله)الرحمن الرحيم(
- الفرق بين رحمة الله -عز وجل- ورحمة المخلوق.

أسأل الله -عز وجل- أن يفتح لنا فتحًا مبينًا، وأن يوفقنا لكل ما يُحب ويرضى.

♦المعاني التي ورد فيها لفظ الرحمة في القرآن:-

صفة الرحمة وردت في القرآن الكريم بعدة معاني وهذا ما يُسمى بالوجوه والنظائر، أن تأتي كلمة في القرآن لها معاني كثيرة.

فمثلاً استُعمِلَ لفظ "الأمة" في القرآن أربعة استعمالات :

١) استعمال "الأمَّة" في البرهة من الزمن - كما في قوله تعالى {وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ} [سُورَةُ هُودٍ: ٨] ونظيره قوله تعالى {وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ } [سُورَةُ يُوسُفَ: ٤٥]

٢) استعمال "الأمَّة" في الجماعة من النَّاس، وهو الاستعمال الغالب، كقوله {وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ} [سُورَةُ القَصَصِ: ٢٣] وقوله {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ} [سُورَةُ يُونُسَ: ٤٧] وقوله {كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ} [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢١٣] إلى غير ذلك من الآيات

٣) استعمال "الأمَّة" في الرجل المُقْتدى به، كقوله تعالى {إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا} [سُورَةُ النَّحْلِ: ١٢٠]

٤) استعمال "الأمَّة" في الشريعة والطريقة، كقوله
{بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ}
[سُورَةُ الزُّخْرُفِ: ٢٢] إلى غير ذلك من الآيات.

□ كذلك لفظ "الرحمة" ورد على عدة معاني في كتاب الله -عز وجل- بما يليق بجلاله وعظمته، وبيان مقتضيات رحمة الله سبحانه وتعالى حتى نتعبد لله -عز وجل- ونكثر من الاتصاف بهذه الصفة.

ورد لفظ "الرحمة" في القرآن على عدة معان، منها:-

□الرحمة التي هي صفة الله -عز وجل- تثبت له على ما يليق بجلاله وعظمته، من ذلك قوله تعالى:
{وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ}
[سُورَةُ الأَعْرَافِ: ١٥٦]
وكذلك قوله سبحانه:
{وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ}
[سُورَةُ الأَنْعَامِ: ١٣٣]

وقول النبي ﷺ: "جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا"

والرحمة صفة لله سبحانه، وهي الأكثر وروداً في القرآن الكريم.

□الرحمة بمعنى الجنة، من ذلك قوله تعالى:
{أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ}
[سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢١٨]
أي يطمعون أن يرحمهم الله، فيدخلهم جنته بفضل رحمته إياهم.

□الرحمة بمعنى النبوة، من ذلك قوله سبحانه:
{وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ}
[سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٠٥]

قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: (يختص برحمته أي بنبوته، خصَّ بها محمداً ﷺ).

□الرحمة بمعنى القرآن، من ذلك قوله تعالى:
{قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ}.[سُورَةُ يُونُسَ: ٥٨]

الرحمة هنا بمعنى القرآن وهذا مروي عن الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة.

□الرحمة بمعنى المطر، كما في قوله تعالى:
{وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۖ} [سُورَةُ الأَعْرَافِ: ٥٧]

قال الطبري والرحمة التي ذكرها الله -عز وجل- في هذا الموضع هو المطر .

□الرحمة بمعنى النعمة والرزق، من ذلك قوله سبحانه:
{أَوۡ أَرَادَنِى بِرَحۡمَةٍ} [سُورَةُ الزُّمَرِ: ٣٨]

قال الشوكاني :الرحمة أي النعمة والرزق .

□الرحمة بمعنى النصر، من ذلك قوله تعالى:
{قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ ١} [سُورَةُ الأَحۡزَابِ: ١٧]

قال القرطبي: أي: خيراً ونصراً وعافية.

□الرحمة بمعنى المغفرة والعفو، من ذلك قوله تعالى:
{كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ}
[سُورَةُ الأَنۡعَامِ: ٥٤]

أي أنه سبحانه يقبل من عباده الإنابة والتوبة.

□الرحمة بمعنى العطف والمودة، من ذلك قوله سبحانه:
{مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ}
[سُورَةُ الفَتۡحِ: ٢٩]

قال البغوي: الرحمة هنا بمعنى متعاطفون متوادون بعضهم لبعض، كالولد مع الوالد.

□الرحمة بمعنى العِصمة، من ذلك قوله تعالى:
{إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ}.[سُورَةُ يُوسُفَ: ٥٣]

قال ابن كثير: أي إلا من عصمه الله تعالى.

□الرحمة بمعنى الثواب، من ذلك قوله سبحانه:
{إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ}

[سُورَةُ الأَعۡرَافِ: ٥٦]

قال سعيد بن جبير :الرحمة هاهنا الثواب .

□الرحمة بمعنى إجابة الدعاء، من ذلك قوله سبحانه:
{ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ}
[سُورَةُ مَرۡيَمَ: ٢]

قال الشوكاني: يعني إجابته إياه حين دعاه وسأله الولد.

كانت هذه معاني الرحمة التي ذُكرت في القرآن الكريم. وكلما كثرت معاني اللفظ وأسمائه، دل ذلك على قيمته وأهميته. وهذا دليل على أن الرحمة من الصفات التي ينبغي أن يتربى بها الإنسان ويجتهد على أن يتحلى بها.

♦أنواع الرحمة المضافة إلى الله تعالى:

الرحمة المضافة إلى الله -عز وجل- نوعان:

أولاً: رحمة ذاتية.

موصوف بها الله سبحانه وتعالى على الوجه اللائق به سبحانه كسائر صفاته.

فنؤمن بهذه الرحمة ونُثبتها لله -عز وجل- كما هي فلا نُحرفها ولا نُعطلها أي لا نُنفيها ولا نسأل عن كيفيتها، فكل ما دار في بالك فالله بخلاف ذلك.
قال تعالى:
{يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ} [سُورَةُ العَنكَبُوتِ: ٢١]

فكما ذكرت في اللقاء السابق، الله -عز وجل- يرحم من عِزة، أي يرحم وهو سبحانه قادر ألا يرحم، ويعفو من قدرة أي يعفو وهو قادر ألا يعفو عن العبد. وهذا يجعل قلب العبد مُتيقنًا برحمة الله، فَيُثبت هذه الصفة لله -عز وجل-.

ثانياً: رحمة مخلوقة.

هذه رحمة مخلوقة، وهي غير الرحمة التي هي صفة من صفات الله تعالى، فهي رحمة البشر، وهي مخلوقة كما أن الإنسان مخلوق.

ففي الحديث عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: "إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعا وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة"

ومعنى الحديث :
أن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة إلى السماء الدنيا، يتراحم بها الخلائق فيما بينهم، تلك الرحمة المخلوقة، وادخر الله -عز وجل- للآخرة تسعة وتسعين رحمة، وهذه رحمة ذاتية حتى يغفر بها ذنوب عباده.

وقال اللهُ -عز وجل- للجنَّةِ: "أنتِ رحمتي أرحَمُ بكِ مَن أشاءُ مِن عبادي"
والرحمة هنا من باب إضافة المفعول إلى فاعله.

 تعقيب ابن عثيمين على رحمة الله العامة، ورحمته الخاصة:

إن الله -عز وجل- برحمته العامة أوجد الخلائق، يُربيهم ويرزقهم ويُعطيهم، ويُسخر المخلوقات من نبات وحيوان وجماد في طعامهم وشرابهم ومساكنهم ولباسهم ونومهم وحركاتهم وغير ذلك من النعم التي لا تعد ولا تحصى.

يقول ابن عثيمين:

(وهذه هي الرحمة العامة التي تشمل جميع المخلوقات، حتى الكفار، لأن الله قَرن الرحمة هذه مع العلم، فكل ما بلغه علم الله، وعلم الله بالغ لكل شيء، فقد بلغته رحمته، فكما يُعلم الكافر، يرحم الكافر أيضاً)

قال تعالى:
{رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا}
[سُورَةُ غَافِرٍ: ٧]
فكل شيء وصله علم الله وهو واصل لكل شيء فإن رحمته وصلت إليه، لأن الله قرن بينهما في هذه الآية، وهذه هي الرحمة العامة التي تشمل جميع المخلوقات حتى الكفار.

فكل ما بلغه علم الله وعلم الله بالغ لكل شيء فقد بلغته رحمته، فكما يُعلم الكافر يرحم الكافر أيضا، لكن رحمته للكافر رحمة جسدية فقط بدنية دنيوية قاصرة غاية القصور بالنسبة لِرحمة المؤمن.

فالذي يرزق الكافر هو الله الذي يرزقه بالطعام والشراب واللباس والمسكن والمنكح وغير ذلك، كذلك بإرسال الرُسُل، وإنزال الكُتب السماوية التي من أعظمها القرآن الكريم.

قال الله -عز وجل- لسيدنا إبراهيم -عليه السلام-
{وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا} [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٢٦] وهذه هي الرحمة العامة التي يدخل فيها الخلق جميعًا.

(أما المؤمنون فلهم رحمة خاصة، أخص من هذا وأعظم لأنها رحمة إيمانية قلبية، بتوفيقهم للعلم النافع والعمل الصالح والثبات على الحق ولهذا تجد المؤمن أحسن حالا من الكافر حتى في أمور الدنيا) لأن الله يقول:

{مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ}
[سُورَةُ غَافِرٍ: ٤٠]

فالمؤمن إن أصابته ضراء صبر واحتسب الأجر على الله -عز وجل- وإن أصابته سراء شكر، فهو في خير في هذا وفي هذا، وقلبه منشرح مطمئن، يسير مع القضاء والقدر لا جزع عند البلاء ولا بطر عند النعماء بل هو متوازن مستقيم معتدل.

والله يَخُص المؤمن بمزيد من الرحمة
قال تعالى:
{وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا}
[سُورَةُ الأَحۡزَابِ: ٤٣]

الله يرحم المؤمن بكل النعم الدنيوية والأُخروية، يرحمه ويُسدده في طريقه، ويُوفِقَه لِمعرفة الخَير، ويمده بالصبر واليقين عند المصائب، لأنه يسير في طريق الحق وطريق الدين.

ومن هنا فإن رحمة الله -عز وجل- العامة يُعطيها لكل من يريد، المؤمن والكافر، في أي وقت وفي أي حال وفي أي مكان.

سبحان الله! عندما تكون في ضيقٍ وهم، توسل إلى الله باسمه الرحمن الرحيم، تجد رحمة الله -عز وجل- تحفك.

رحم الله سيدنا إبراهيم -عليه السلام- وهو في النار، ورَحِمَ الله سيدنا يوسف وهو في الجُب والسِجن، ووَجد سيدنا يونس رَحمة الله وهو في بطن الحوت، في ظلماتٍ ثلاث، وكذلك رحم الله سيدنا موسى في اليم وهو طفل مُجَرَد من كل قوة، بل وهو يعيش في قصر فرعون.

سبحان الله! وجد أصحاب الكهف رحمة الله في الكهف، قال تعالى: {فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ} [سُورَةُ الكَهۡفِ: ١٦]

ووجد الرسول ﷺ رحمة الله -عز وجل- في الغار، والكفار على رؤوسهم، والصديق يقول للنبي ﷺ: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لرآنا، ولكن كل من آوى إلى الله -عز وجل- وجد هذه الرحمة.

✶إنكار المشركين اسم الله الرحمن:

□ يقول الشيخ السِعدي في قوله تعالى:
{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ۩} [سُورَةُ الفُرۡقَانِ: ٦٠]

(قَالُوا جحدا وكفراً وَمَا الرَّحْمَنُ بزعمهم الفاسد أنهم لا يعرفون الرحمن، وجعلوا من جملة قوادحهم في الرسول أن قالوا: ينهانا عن اتخاذ آلهة مع الله وهو يدعو معه إلها آخر يقول: " يا رحمن " ونحو ذلك كما قال تعالى: قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فأسماؤه تعالى كثيرة لكثرة أوصافه وتعدد كماله، فكل واحد منها دل على صفة كمال).

وهذا مبني منهم على التكذيب بالرسول واستكبارهم عن طاعته، وَزَادَهُمْ دعوتهم إلى السجود للرحمن نُفُورًا هربا من الحق إلى الباطل وزيادة كفر وشقاء، وهذا تعنت وجحود وعناد فقط.

□ أيضاً في الحديث في صحيح البخاري في قصة صلح الحديبية عندما أرسلت قريش سهيلَ بن عمرو لكتابة صلح الحديبية مع رسول الله ﷺ، أمر رسولُ الله عليَّ بن أبي طالب أن يكتب، فكان مما أملاه صلى الله عليه وسلم: "بسم الله الرحمن الرحيم". فقال سهيل: أما الرحمن فوالله لا ندري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم. فأمر رسول الله ﷺ عليًّا فكتبها كذلك.

كان هذا إنكار وعناد وتعنت للمشركين لاسم الله الرحمن، الذين كانوا يتوسلون إليه في الشدة وعدم نزول المطر، بل وكان العرب يُرددون اسم الله الرحمن في اشعارهم.

فهم يعرفون اسم الله الرحمن ولكنهم ينكرون ذلك، قال تعالى:
{وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَـٰنُ مَا عَبَدۡنَـٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ } [سُورَةُ الزُّخۡرُفِ: ٢٠]

□ رد الطبري بشدة في تفسيره قول من قال إن العرب كانت لا تعرف الرحمن فقال:

(وقد زعم بعضُ أهل الغَباء أنّ العرب كانت لا تعرف "الرحمن"، ولم يكن ذلك في لغتها) ثم بين الطبري أن ذلك كان تعنت وجحود وعناد منهم.

والشاهد، أن الله تعرف على عباده باسمه الرحمن، حتى أنه لم يتسمى به أحد من الخلق، كما وضحت قبل ذلك، إنه يمكن القول أن فلاناً رحيم ولكن لا يمكن أن نقول بأن فلاناً رحمن، ذلك لأن الرحمن وصف لله -عز وجل-.

حتى عندما أطلق أهل اليمامة اسم الرحمن على مُسيلمة الكذاب كان هذا أيضاً تعنت وجحود، كما تعنت فرعون وقال: {فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ}
[سُورَةُ النَّازِعَاتِ: ٢٤]

فالرحمة من الله سبحانه وتعالى بعباده، حيث أنزل القرآن والوحي رحمة منه ومِنةً وفضلاً، فهو أكبر النعم على الإطلاق على رسوله ﷺ، يقول السعدي في تفسير قوله تعالى:
{إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا} [سُورَةُ الإِسۡرَاءِ: ٨٧]

(حيث أنزل القرآن عليه، وأبقاه في صدره دون أن يزيله منه، وجعله سيد ولد آدم، وخاتم رسله، وأعطاهُ المقام المحمود يوم القيامة).

إن الرحمة لا تصدر إلا من قوة، لذلك لا يتصف بها إلا من كان ذو عقلٍ راسخ وقوة، فالرحمة صفة إلهية وخلق نبوي كريم، يجب أن نتخلق بها، فما أسهل رد الإساءة للمُسئ، وإنما القوة والرحمة تكمن في العفو والصفح.

□ قال ابن عثيمين في تفسيره لإنكار البعض صفة الرحمة:

(هذا وقد أنكر قوم وصف الله تعالى بالرحمة الحقيقية، وحرّفوها إلى الإنعام، أو إرادة الإنعام، زعماً منهم أن العقل يحيل وصف الله بذلك؛ قالوا: «لأن الرحمة انعطاف، ولين، وخضوع، ورقة؛ وهذا لا يليق بالله عز وجل»

والرد عليهم من وجهين:

الوجه الأول: منع أن يكون في الرحمة خضوع، وانكسار، ورقة؛ لأننا نجد من الملوك الأقوياء رحمة دون أن يكون منهم خضوع، ورقة، وانكسار.

الوجه الثاني: أنه لو كان هذا من لوازم الرحمة، ومقتضياتها فإنما هي رحمة المخلوق؛ أما رحمة الخالق سبحانه وتعالى فهي تليق بعظمته، وجلاله، وسلطانه؛ ولا تقتضي نقصاً بوجه من الوجوه.

ثم نقول: إن العقل يدل على ثبوت الرحمة الحقيقية لله -عز وجل-: فإن ما نشاهده في المخلوقات من الرحمة بَيْنها يدل على رحمة الله -عز وجل- ولأن الرحمة كمال؛ والله أحق بالكمال؛ ثم إن ما نشاهده من الرحمة التي اختص الله -عز وجل- بها من إنزال المطر إزالة الجدب يدل على رحمة الله -عز وجل-.

والمقصود، أن من أنكر الرحمة لله -عز وجل- لأنها تدل على اللين والخضوع والإنكسار، فلينظروا إلى الملوك التي ترحم وتعطف ومازالوا أقوياء.

بل وحتى إن كانت رحمة المخلوق فيها لين أو خضوع، فلا يجب أن نقيس رحمة الخالق على رحمة المخلوق، لأن رحمة الله -عز وجل- تليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

فالمخلوق يرحم القريب دون البعيد، وقد يرحم الضعيف دون القوي، لكن الله -عز وجل- يرحم القريب والبعيد، والقوي والضعيف، المؤمن والكافر، سبحان الله!

♦بعض آثار رحمة الله -عز وجل- في الخلق:-

إن أكبر حظ يخرج به العبد من التعبد لله -عز وجل- باسمه الرحمن الرحيم، هو أن يتصف بالرحمة، فهي أكثر صفة وردت في القرآن الكريم.

وتظهر آثار رحمة الله -عز وجل- في كل ما خلق الله:

☆سواء في هذا الكون العريض وما فيه من المخلوقات العظيمة المسخرة بأمره سبحانه وما فيها من المنافع والرحمة لعباده،

☆ أو ما في خلق الإنسان من الآيات الدالة على عظمته سبحانه ورحمته -عز وجل- بهذا الإنسان، حيث خلقه في أحسن تقويم وأقام جسمه وروحه، وأعطاه العقل وقواه، وأمده وأعده ورزقه وأنعم عليه بنعمه الظاهرة والباطنة.

ولو ذهبنا نستعرض آثار رحمة الله تعالى في الآفاق وفي الأنفس لفنيت الأعمار ولم تنته من حصرها وعدها مع أنها جزء من مائة جزء من رحمته.

قال الله تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الجاثية: ١٣].

☆وبرحمته أطلع الشمس والقمر، وجعل الليل والنهار، وبسط الأرض وجعلها مهادًا وفراشًا وقرارًا وكفاتًا للأحياء والأموات.

☆وبرحمته أنشأ السحاب وأمطر المطر، وأطلع الفواكه والأقوات والمرعى.

☆ ومن رحمته سخر لنا الخيل والابل والأنعام وذللها منقادة للركوب والحمل والأكل.

☆ومن رحمته أن خلق للذكر من الحيوان أنثى من جنسه وألقى بينهما المحبة والرحمة، ليقع بينهما التواصل الذي به دوام التناسل وانتفاع الزوجين، ويمتع كل واحد منهما بصاحبه.

☆ومن رحمته أحوج الخلق بعضهم إلى بعض لتتم مصالحهم، ولو أغنى بعضهم عن بعض لتعطلت مصالحهم، وانحل نظامهم، قال تعالى:
{وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡض ٍ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَـٰلَمِينَ} [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢٥١]

يقول ابن تيمية:

والفقر لي وصف ذات لازم أبدا
كما الغنى أبدا وصف له ذاتي

فهو أن لا يرى الفضل والإحسان إلا من الله

☆وكان من تمام رحمته بهم أن جعل فيهم الغني والفقير، والعزيز والذليل، والعاجز والقادر، والمراعي والمرعى، ثم أفقر الجميع إليه ثم عم الجميع برحمته.

☆ أيضاً من آثار رحمة الله ما وضع في قلوب الأمهات من رحمة، بل إن رحمة الله -عز وجل- أعظم وأوسع من رحمة الأمهات لأولادهن.

عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: قَدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ بِسَبْيٍ فإذا امرأةٌ مِنَ السَّبْيِ تَسْعَى، إِذْ وَجَدَتْ صَبِيًّا في السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْزَقَتْهُ بِبَطْنِهَا فَأَرْضَعَتْهُ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «أَتَرَوْنَ هَذِهِ المرأةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا في النَّارِ؟» قلنا: لا واللهِ. فقال: «للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا».

يقول ابن القيم: (وبرحمته وضع الرحمة بين عباده لِيتراحموا بها، وكذلك بين سائر أنواع الحيوان، فهذا التراحم الذي بينهم بعض آثار الرحمة التي هي صفة الله -عز وجل- و اشتق لنفسه منها اسم الرحمن الرحيم.)

ومن هنا وجب علينا التفكر في الكون، واستشعار رحمة الله -عز وجل- في خلقه، لأن التفكر عبادة يغفل عنها الإنسان، فهي تورث الحكمة، وتُحيي القلوب، وتغرس فيها الخوف والخشية من الله -عز وجل-.

(الدرس الثالث)

هذا هو الدرس الثالث من شرح اسم الله (الرحمن الرحيم .)أسأل الله -عز وجل- أن يفتح لنا فتحاً مبيناً، وأن لكل ما يُحب ويرضى، وأن يوفقنا للعيش معه بكل أسمائه الحُسنى، وأن يرزق قلوبنا جنة معرفتهِ والتعبد له سبحانه بجميع أسمائه الحُسنى.

♦ في هذا الدرس سوف:

- أُكمل الحديث عن آثار رحمة الله -عز وجل- في الخلق.
- أتحدث عن اجتهاد العبد في تحصيل هذه الرحمة.
- أتحدث عن حظ العبد من الإيمان باسم الله (الرحمن الرحيم.)

ذكرت بعض آثار رحمة الله -عز وجل- في الخلق سواء في هذا الكون وما فيه من مخلوقات عظيمة مُسخرة بأمره سبحانه وما فيها من منافع ورحمة لعباده، كالشمس والقمر والليل والنهار.

كذلك آثار رحمة الله في خلق الإنسان، والآيات الدالة على عظمته سبحانه ورحمته -عز وجل- بهذا الإنسان، حيث خلقه في أحسن تقويم وأقام جسمه وروحه، وأعطاه العقل وقواه، وأمده وأعده ورزقه وأنعم عليه بنعمه الظاهرة والباطنة.

تحدثت أيضاً عن سعة رحمة الله -عز وجل- وأنه أرحم من الأم بولدها، وتوقفت عند آثار رحمة الله في شرعهِ.

□أثر رحمة الله -عز وجل- في الشرع.

□من رحمة الله بعباده أنه أرسل الرسل وأنزل الكتب.

يقول ابن القيم:
(ومن رحمته أن أنزل لهم كُتباً وأرسل الرُسُل، لكن الناس افترقوا إلى فريقين، فأما المؤمنون فقد اتصل الهُدى في حقهم بالرحمة، فصار القرآن لهم هدىً ورحمة؛ وأما الكافرون فلم يتصل الهدى بالرحمة، فصار لهم هدى بلا رحمة؛ وهذه الرحمة المقارنة للهدى في حق المؤمنين رحمة عاجلة ورحمة آجلة؛ فأما العاجلة فما يُعطيهم الله في الدنيا من محبة الخير والبِر، وذوق طعم الإيمان و وِجدان حلاوته والفرح والسرور والأمن والعافية)

قال الله -عز وجل-:
{قُل بِفَضلِ اللَّهِ وَبِرَحمَتِهِ فَبِذلِكَ فَليَفرَحوا هُوَ خَيرٌ مِمّا يَجمَعونَ}
[يونس: ٥٨]

فالله -عز وجل- أمر عباده أن يفرحوا بفضله ورحمته. فهم يتقلبون في نورهِ وهُداه، ويمشون به في الناس، ويرون غيرهم متحيراً في الظلمات. فهم أشد الناس فرحاً بما أتاهم الله من الهدى والرحمة و غيرهم جمع الهم والغم والبلاء والألم والقلق والاضطراب مع الحيرة والضلال.

هذه الرحمة تحصل للمهتدين بحسب هُداهم. فكلما كان نصيب الواحد من الهُدى أتم كان حظه من الرحمة أوفر. فتجد الصحابة كانوا أرحم الأُمة كما قال الله -عز وجل-
{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ}
[سُورَةُ الفَتۡحِ: ٢٩]

والصديق أرحم بالأُمة، فقد جمع الله له بين سعة العلم والرحمة، والإنسان كلما كان علمه مباركاً، واتسع علمه اتسعت رحمته.
وهكذا الرجل كلما اتسع علمه اتسعت رحمته، وقد وَسِعَ ربّنا كل شيء رحمة وعلمًا.

فوسعت رحمته كلّ شيء، وأحاط بكل شيء علمًا، فهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، بل هو أرحم بالعبد من نفسه، كما هو أعلم بمصلحة العبد من نفسه.

كان أحد السلف يقول لا أُحب أن يكون حِسابي يوم القيامة إلى والِدي، لأنه يعلم أن رحمة الله -عز وجل- أوسع من رحمة أُمه وأبوه.

يقول الله -عز وجل-
{وَما كُنتَ تَرجو أَن يُلقى إِلَيكَ الكِتابُ إِلّا رَحمَةً مِن رَبِّكَ فَلا تَكونَنَّ ظَهيرًا لِلكافِرينَ} [القصص: ٨٦]

يقول الشيخ السِعدي:
(فإذا علمت أنه أنزل إليك رحمة منه، علمت أن جميع ما أمر به ونهى عنه فإنه رحمة وفضل من الله، فلا يكن في صدرك حرج من شيء منه، وتظن أن مخالفة أصلح وأنفع).

□ تتجلى أيضا رحمة الله في شرعه، أن كل ما في الشرع فيه خير ورحمة للخلق، سواء ما يتعلق بهداية الخلق أو حفظ أنفسهم وأبدانهم، أو حفظ الأفكار والعقول، وحفظ الأنساب والأولاد، أو حفظ الأموال أو ممتلكات، وكل ما يتعلق بهذه الضروريات الخمسة من أحكام.

رحمةً بالناس والمحافظة عليها وحمايتها من الفساد والعدوان، حتى يعيش الناس في أمن وسعادة، وتظهر رحمة الله -عز وجل- أن يَسر الشريعة حتى يرفع عن الناس الحرج.

يقول الله تعالى:
{أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ }
[سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢١٨]

إشارة أن العبد ولو أتى من الأعمال بما أتى به لا ينبغي له أن يعتمد عليها. يُعلق قلبه بالله -عز وجل-، بل يرجو رحمة الله ويرجو قبول أعماله ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه، كان هذا نقلاً من تفسير الشيخ السعدي.

□ من أسباب رحمة الله -عز وجل- في شرعه أن تتأمل مغفرة الله -عز وجل- لذنوب عباده، وكيف يُكفر عنهم سيئاتهم ويتوب عليهم.

.

قال تعالى:
{قُل يا عِبادِيَ الَّذينَ أَسرَفوا عَلى أَنفُسِهِم لا تَقنَطوا مِن رَحمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغفِرُ الذُّنوبَ جَميعًا إِنَّهُ هُوَ الغَفورُ الرَّحيمُ} [الزمر: ٥٣]

يُخبر تعالى عباده المسرفين بسعة كرمه ورحمته بهم، اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا لِمَنْ تَابَ مِنْهَا وَرَجَعَ عَنْهَا، وَإِنْ كَثُرَتْ.

وقال -صلى الله عليه وسلم-: "لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة"

يقول الله -عز وجل-
{وَهُوَ الَّذي يَقبَلُ التَّوبَةَ عَن عِبادِهِ وَيَعفو عَنِ السَّيِّئاتِ وَيَعلَمُ ما تَفعَلونَ} [الشورى: ٢٥]

وقال -عز وجل-

{وَإِذا جاءَكَ الَّذينَ يُؤمِنونَ بِآياتِنا فَقُل سَلامٌ عَلَيكُم كَتَبَ رَبُّكُم عَلى نَفسِهِ الرَّحمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُم سوءًا بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابَ مِن بَعدِهِ وَأَصلَحَ فَأَنَّهُ غَفورٌ رَحيمٌ} [الأنعام: ٥٤]

إذاً كتب الله على نفسه الرحمة بأنه يتوب ويصفح ويغفر للمُذنبين، فمن عمل السوء بجهالة يتوب الله -عز وجل- عليه ويغفر له.
ش

- تتجلى كذلك آثار رحمة الله في الشرع الخاصة بأوليائه، فالله -عز وجل- يغفر الذنوب لعبادِهِ جميعاً ويَخُص أولياءه بمزيد من الرحمة، فالله يوفق أولياءه ويسددهم وينصرهم على أعدائهم، ويُمكنهم في الأرض، ويحفظهم ويُجيب دعاءهم ويُيَسر أمورهم، ويُغيثَهم ويقضي حاجاتهم، ويجلب لهم الرزق ويدفع عنهم الضُر، ويكشف عنهم الكروب.

قال الله -عز وجل-:

{وَأَمَّا الَّذينَ ابيَضَّت وُجوهُهُم فَفي رَحمَةِ اللَّهِ هُم فيها خالِدونَ} [آل عمران: ١٠٧]

فيهنئون أكمل تهنئة ويُبَشرون أعظم بشارة، وذلك أنهم يبشرون بدخول الجنات ورِضى ربهم ورحمته، {فَفي رَحمَةِ اللَّهِ هُم فيها خالِدونَ} وإذا كانوا خالدين في الرحمة، فالجنة أثر من آثار رحمته تعالى، فهم خالدون فيها بما فيها من النعيم المقيم والعيش السليم، في جوار أرحم الراحمين.

- من آثار رحمة الله تبارك وتعالى في الشرع خلق الجنة.

فَبرحمة الله -عز وجل- عُمرت الجنة بأهلها، وبرحمته وصلوا إليها، وبرحمة الله وصلوا إلى الجنة، وبرحمته طاب عيش المؤمنين في الجنة، وسمى الله سبحانه الجنة بالرحمة، وهي أعظم رحمة خلقها الله لعباده

قال تعالى:
{وَأَمَّا الَّذينَ ابيَضَّت وُجوهُهُم فَفي رَحمَةِ اللَّهِ هُم فيها خالِدونَ}
[آل عمران: ١٠٧]

□ آثار رحمة الله -عز وجل- في القدر.

□سعة رحمة الله بعبادهِ عند الإبتلاء، وكيف يُصبر الله المؤمنين عند المصائب، فإذا احتسبوا وصبروا، رفع الله درجاتهم.

قال تعالى:
{كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ}
[سُورَةُ الأَنۡعَامِ: ١٢]

أي أن الله -عز وجل- بسط الله على عبادهِ رحمته وإحسانه، وتغمدهم برحمته وامتنانه، وكتب على نفسه كتاباً أن رحمته تغلب غضبه، وأن العطاء أحب إليه من المنع، وأن الله قد فتح لجميع العباد أبواب الرحمة، إن لم يغلقوا عليهم أبوابها بذنوبهم، ودعاهم إليها، إن لم تمنعهم من طلبها معاصيهم.

فتظهر هذه الرحمة للمُصاب عياناً بأن يَتبين له ما في المكروه من الرحمة واللطف، ولا يتبين ذلك في الدنيا، ولكن تظهر آثار رحمة الله في الآخرة بأن يُكفر السيئات ويغفر الذنوب، بهذه المصائب وأن يرحم عبده، وأنه يجعل عبده دوماً مكسوراً إليه وحده

قال الله -عز وجل-
{كُتِبَ عَلَيكُمُ القِتالُ وَهُوَ كُرهٌ لَكُم وَعَسى أَن تَكرَهوا شَيئًا وَهُوَ خَيرٌ لَكُم وَعَسى أَن تُحِبّوا شَيئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُم وَاللَّهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لا تَعلَمونَ} [البقرة: ٢١٦]

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قَالَ: "مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حَزَنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُها إلاَّ كفَّر اللَّه بهَا مِنْ خطَايَاه" متفقٌ عَلَيهِ.

وهذه رحمة بالمؤمنين، أن يُكفر خطاياهم ويرفع درجاتهم، فهي رحمة بالمؤمنين من شر الكفار، أما ما يُصاب به الكفار من المصائب والعقوبات، وأنهم يتسلطون ويفسدون في الأرض فهذا عدل مع الكفار.

يقول ابن القيم:
(ومن رحمته سبحانه ابتلاء الخلق بالأوامر والنّواهي رحمة لهم وحِميّة لا حاجة منه إليهم بما أمرهم به؛ ومن رحمته أن نغّص عليهم الدّنيا وكدّرها؛ لئلّا يسكنوا إليها ولا يطمئنّوا إليها ويرغبون عن النّعيم المقيم في داره وجواره، فساقهم إليها بسياط الابتلاء والامتحان فمنعهم ليعطيهم، وابتلاهم ليُعافيهم، وأمهاتهم ليُحييهم؛ ومن رحمته بهم أن حذّرهم نفسه؛ لئلّا يغترّوا به فيُعاملوه بما لا تحسن معاملته به.)

قال تعالى:
{وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ} [سُورَةُ العَنكَبُوتِ: ٦٤]

يخبر الله تعالى عن حالة الدنيا والآخرة، وفي ضمن ذلك، التزهيد في الدنيا والتشويق للأُخرى، فهَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا في الحقيقة تلهو بها القلوب، وتلعب بها الأبدان، بسبب ما جعل الله فيها من الزينة

واللذات، والشهوات للقلوب المعرضة، ثم تزول سريعاً، ولم يحصل منها محبها إلا على الندم والحسرة والخسران.

وأما الدار الآخرة، فإنها دار الحياة الكاملة، فالذين يعلمون، لا بد أن يؤثروا الآخرة على الدنيا، لما يعلمونه من حالة الدارين.

قال تعالى:
{وَقُل رَبِّ اغفِر وَارحَم وَأَنتَ خَيرُ الرّاحِمينَ} [المؤمنون: ١١٨]

داعيا لربك مُخلصا له الدين، حتى تنجينا من المكروه، وترحمنا، لتوصلنا برحمتك إلى كل خير {وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ} فكل راحم للعبد، فالله خير له منه، أرحم بعبده من الوالدة بولدها، وأرحم به من نفسه.

هذا نقلاً من تفسير الشيخ السعدي.

□كذلك من رحمة الله -عز وجل- في القدر أن الله -عز وجل- يفتح للناس ويُمسك.

قال تعالى:
{مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ}
[سُورَةُ فَاطِرٍ: ٢]

ما من نعمة ـ يُمسك الله معها رحمته- حتى تنقلب هي بذاتها نقمة.
وما من محنة -تحفها رحمة الله- حتى تكون هي بذاتها نعمة.

ينام الإنسان على الشوك مع رحمة الله فإذا هو مهاد، وينام على الحرير وقد أُمسكت عنه فإذا هو شوك القتاد، يُعالج أعسر الأمور برحمة الله، فإذا هي هوادة ويُسر. يُعالج أيسر الأمور وقد تخلت رحمة الله، فإذا هي مشقة وعسر.

يخوض الإنسان المخاوف والأخطار برحمة الله فإذا هي أمن وسلام، ويعبر بدونها المناهج والمسالك فإذا هي مهلكة وبوار!

لا ضيق مع رحمة الله، إنما الضيق في إمساكها دون سواه. لا ضيق ولو كان صاحبها في غياهب السجن، أو في جحيم العذاب أو في شعاب الهلاك. ولا سِعة مع إمساكها ولو تقلب الإنسان في النعيم والرخاء.

فمن داخل النفس برحمة الله تتفجَّر ينابيع السعادة والرضا والطمأنينة. ومن داخل النفس مع إمساكها تدب عقارب القلق والتعب والنَصب والكد والمعاناة!
يبسط الله الرزق ـ مع رحمته ـ فإذا هو متاع طيب ورخاء؛ وإذا هو رغد في الدنيا وزاد إلى الآخرة.

يُمسك الله رحمته، فإذا هو مثار قلق وخوف، وإذا هو مثار حسد وبغض، وقد يكون معه الحرمان ببخل أو مرض، وقد يكون معه التلف بإفراط أو استهتار.

يمنح الله الذرية مع رحمته فإذا هي زينة في الحياة ومصدر فرح واستمتاع، ومضاعفة للأجر في الآخرة بالخلف الصالح الذي يذكر الله، ويُمسك رحمته فإذا الذرية بلاء ونكد وعنت وشقاء، وسهر بالليل وتعب بالنهار!

يهب الله الصحة والقوة مع رحمته فإذا هي نعمة وحياة طيبة، و تذاذ بالحياة، ويُمسك نعمته فإذا الصحة والقوة بلاء يُسلطه الله على الصحيح القوي، فينفق الصحة والقوة فيما يُحطم الجسد ويُفسد الروح، ويدخر السوء ليوم الحساب!

يُعطي الله السلطان والجاه مع رحمته فإذا هي أداة إصلاح، ومصدر أمن، ووسيلة لادخار الطيب الصالح من العمل والأثر،

ويُمسك الله رحمته فإذا الجاه والسلطان مصدر قلق على ضياعها، ومصدر طغيان وبغي بهما، فلا يستمتع بجاه ولا سلطان، ويدخر بهما للآخرة رصيداً ضخماً من النار!

كذلك العلم الغزير، والعمر الطويل، والمقام الطيب، كلها تتغير وتتبدل من حال إلى حال مع الإمساك. أما مع الإرسال فإن قليل من المعرفة يُثمر وينفع، وقليل من العمر يبارك الله فيه. وزهيد من المتاع يجعل الله فيه السعادة.

يقول الله -عز وجل-
{ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ}
{أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ} [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٥٦-١٥٧]

أُولَئِكَ الموصوفون بالصبر المذكور {عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ} أي ثناء وتنويه بحالهم وَرَحْمَةٌ عظيمة، ومن رحمته إياهم، أن وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر، {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} الذين عرفوا الحق، ولولا رحمة الله -عز وجل- بهم لم يصبروا.

كانت هذه آثار رحمة الله -عز وجل- من خلال تدبر لبعض الآيات.

كيف يسعى العبد لنيل رحمة الله -عز وجل-؟

بعد أن رأينا آثار رحمة الله -عز وجل- فعاش القلب آثار هذه الرحمة، الآن سوف نُحلل بعض الآيات حتى نعرف كيف يستطيع الإنسان أن ينال رحمة الله -عز وجل-

□ قال تعالى:
{وَاكتُب لَنا في هذِهِ الدُّنيا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنّا هُدنا إِلَيكَ قالَ عَذابي أُصيبُ بِهِ مَن أَشاءُ وَرَحمَتي وَسِعَت كُلَّ شَيءٍ فَسَأَكتُبُها لِلَّذينَ يَتَّقونَ وَيُؤتونَ الزَّكاةَ وَالَّذينَ هُم بِآياتِنا يُؤمِنونَ}
[الأعراف: ١٥٦]

يقول الشيخ السِعدي:

قَالَ الله تعالى: {عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ} ممن كان شقيًا، متعرضًا لأسبابه، {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} من العالم العلوي والسُفلي، البَر والفاجر، المؤمن والكافر، فلا مخلوق إلا وقد وصلت إليه رحمة الله، وغمره فضله وإحسانه.

ولكن الرحمة الخاصة المقتضية لسعادة الدنيا والآخرة، ليست لكل أحد، ولهذا قال عنها: {فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ} المعاصي، صغارها وكبارها، {وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} الواجبة مستحقيها، {وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ}، ومن تمام الإيمان بآيات الله معرفة معناها، والعمل بمقتضاها، ومن ذلك اتباع النبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا، في أصول الدين وفروعه.

✅إذاً دلت الآية على أن رحمة الله وسعت كل شيء، ولكن الإنسان لن يصل إلى رحمة الله -عز وجل- إلا إذا بالتقوى، ان يتقى الله حقاً، وذلك باجتناب النواهي وفعل الأوامر.

والتقوى لها معاني كثيرة، منها:

- أن يجعلَ العبدُ بينه وبين ربه وقايةً من غضبه وسخطه وعذابه، وهي أن يعملَ بطاعة الله على نورٍ من الله، يرجو ثواب الله، وأن يتركَ معصيةَ اللهِ على نورٍ من اللهِ، يخافُ عقابَ الله.

- "الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل"

□ قال تعالى:
{إِنَّ الَّذينَ آمَنوا وَالَّذينَ هاجَروا وَجاهَدوا في سَبيلِ اللَّهِ أُولئِكَ يَرجونَ رَحمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفورٌ رَحيمٌ}
[البقرة: ٢١٨]

يقول الشيخ السِعدي:

هذه الأعمال الثلاثة (الإيمان - الهجرة - الجهاد)، هي عنوان السعادة وقطب رَحى العبودية، وبها يعرف ما مع الإنسان، من الربح والخسران.

فأما الإيمان، فلا تسأل عن فضيلته، وكيف تسأل عن شيء هو الفاصل بين أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأهل الجنة من أهل النار، وهو الذي إذا كان مع العبد، قبلت أعمال الخير منه، وإذا عدم منه لم يقبل له صرف ولا عدل، ولا فرض، ولا نفل.

وأما الهجرة، فهي مفارقة المحبوب المألوف، لرضا الله تعالى، فيترك المهاجر وطنه وأمواله، وأهله، وخِلانه، تقربا إلى الله ونُصرة لدينه.

وأما الجهاد، فهو بذل الجهد في مقارعة الأعداء، والسعي التام في نصرة دين الله، وقمع دين الشيطان، وهو ذروة الأعمال الصالحة، وجزاؤه، أفضل الجزاء، وهو السبب الأكبر، لتوسيع دائرة الإسلام وخذلان عُباد الأصنام، وأمن المسلمين على أنفسهم وأموالهم وأولادهم.

فمن قام بهذه الأعمال الثلاثة على لأوائها ومشقتها كان لغيرها أشد قياماً به وتكميلاً. فحقيق بهؤلاء أن يكونوا هم الراجون رحمة الله، لأنهم أتوا بالسبب الموجب للرحمة .

وفي هذا دليل على أن الرجاء لا يكون إلا بعد القيام بأسباب السعادة، وأما الرجاء المقارن للكسل، وعدم القيام بالأسباب، فهذا عجز وتمن وغرور، وهو دال على ضعف همة صاحبه، ونقص عقله، بمنزلة من يرجو وجود ولد بلا نكاح، ووجود الغلة بلا بذر، وسقي، ونحو ذلك.

وفي قوله: {أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ} إشارة إلى أن العبد ولو أتى من الأعمال بما أتى به لا ينبغي له أن يعتمد عليها، ويعول عليها، بل يرجو رحمة ربه، ويرجو قبول أعماله ومغفرة ذنوبه، وستر عيوبه.

✅دلت هذه الآية على أن العبد كي يُحصل رحمة الله -عز وجل- وجب عليه أن يكون من المؤمنين ويكون من الذين هاجروا، هاجر من المعصية إلى الطاعة، هاجر من البُعد عن الله إلى القرب منه، هاجر من الدنيا إلى الآخر؛ ومن الذين جاهدوا في سبيل بأنفسهم، وألزم نفسه باتباع أوامر الله وتجنب المعاصي.

□ قال تعالى:
{وَأَطيعُوا اللَّهَ وَالرَّسولَ لَعَلَّكُم تُرحَمونَ} [آل عمران: ١٣٢]

يقول الشيخ السِعدي:

{وأطيعوا الله والرسول} بفعل أوامر الخير والطاعة امتثالاً، واجتناب النواهي، {لعلكم ترحمون} فطاعة الله وطاعة رسوله، من أسباب حصول الرحمة.

✅أشارت الآية على أن من أسباب رحمة الله -عز وجل- طاعة الله، بامتثال العبد لأعمال الخير، وتجنب نواهيه، وكذلك اتباع سنة نبيه ﷺ؛ وعلى قدر معرفة العبد بربه، ترتفع درجته عند الله تعالى.

□ قال تعالى:
{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَـٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا} {فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا}
[سُورَةُ النِّسَاءِ: ١٧٤-١٧٥]

يقول الشيخ السعدي:

{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا} وهو هذا القرآن العظيم، الذي قد اشتمل على علوم الأولين والآخرين والأخبار الصادقة النافعة، والأمر بكل عدل وإحسان وخير، والنهي عن كل ظلم وشر.

فالناس في ظُلمة إن لم يستضيئوا بأنواره، وفي شقاء عظيم إن لم يقتبسوا من خيره.

وانقسم الناس بحسب الإيمان بالقرآن والانتفاع به إلى قسمين:

{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ} أي اعترفوا بوجوده واتصافه بكل وصف كامل، وتنزيهه من كل نقص وعيب، {وَاعْتَصَمُوا بِهِ} أي لجأوا

إلى الله واعتمدوا عليه وتبرأوا من حولهم وقوتهم واستعانوا بربهم، {فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ} أي فَسيتغمدهم بالرحمة الخاصة، فَيوفقهم للخيرات ويجزل لهم المثوبات، ويدفع عنهم البلايا والمكروهات، {وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا} أي يوفقهم للعلم والعمل، ومعرفة الحق والعمل به.

ومن لم يُؤمن بالله ويعتصم به ويتمسك بكتابه، منعهم من رحمته، وحرمهم من فضله، وخلى بينهم وبين أنفسهم، فلم يهتدوا، بل ضلوا ضلالاً مُبيناً، عقوبة لهم على تركهم الإيمان فحصلت لهم الخيبة والحرمان -نسأل الله تعالى العفو والعافية والمعافاة-.

✅أخبرت الآية أن العبد كي ينال رحمة الله وجب عليه أن يتبع القرآن علماً وعملاً، فَيفعل كل ما أمر الله به، ويتجنب نواهيه.

□ قال تعالى:
{وَإِذا قُرِئَ القُرآنُ فَاستَمِعوا لَهُ وَأَنصِتوا لَعَلَّكُم تُرحَمونَ}
[الأعراف: ٢٠٤]

يقول الشيخ السِعدي:

هذا الأمر عام في كل من سمع كتاب الله يُتلى، فإنه مأمور بالاستماع له والإنصات، والفرق بين الاستماع والإنصات:

- أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه.

- وأما الاستماع له، فهو أن يُلقي سمعه، ويُحضر قلبه ويتدبر ما يستمع.

فإن من لازم على هذين الأمرين حين يُتلى كتاب الله، فإنه ينال خيراً كثيرًا وعلمًا غزيرًا، وإيمانًا مستمرًا متجددًا، وهدًى متزايدًا، وبصيرة في دينه، ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما.

فدل ذلك على أن من تُلِيَ عليه الكتاب، فلم يستمع له وينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير. ومن أوكد ما يؤمر به مستمع القرآن، أن يستمع له وينصت في الصلاة الجهرية إذا قرأ إمامه، فإنه مأمور بالإنصات، حتى إن أكثر العلماء يقولون: إن اشتغاله بالإنصات، أولى من قراءته الفاتحة وغيرها.

✅أخبرت الآية أن من أسباب رحمة الله -عز وجل- الإنصات إلى القرآن الكريم.

أيضا من الآيات التي دلت على رحمة الله -عز وجل- وكيفية نيلها.

□ قال تعالى:
{قالَ يا قَومِ لِمَ تَستَعجِلونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبلَ الحَسَنَةِ لَولا تَستَغفِرونَ اللَّهَ لَعَلَّكُم تُرحَمونَ} [النمل: ٤٦]

جاء في التفسير الوسيط:
أى هَلا استغفرتم الله تعالى وأخلَصتُم له العبادة، واتبعتُمونى فيما أدعوكم إليه، لكي يرحمكم ربكم ويعفو عنكم.

يقول الشيخ السِعدي:

{قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ} ؛ أي لم تُبادرون فعل السيئات وتَحرصون عليها قبل فعل الحسنات التي بها تَحسن أحوالكم وتصلح أموركم الدينية والدنيوية؟

والحال أنه لا موجب لكم إلى الذهاب لفعل السيئات؟ {لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ} بأن تتوبوا من شرككم وعِصيانكم وتدعوه أن يغفر لكم، {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} فإن رحمة الله تعالى قريب من المحسنين.

✅أشارت الآية إلى أن التوبة والإنابة والرجوع إلى الله -عز وجل- وسؤال الله المغفرة، من أسباب رحمة الله تعالى، فإن رحمة الله تعالى قريب من المحسنين والتائب من الذنوب هو من المحسنين، وفي حديث جبريل لما سأل النبي ﷺ عن الإحسان قال له النبي ﷺ: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"

□ قال تعالى:
{وَالمُؤمِنونَ وَالمُؤمِناتُ بَعضُهُم أَولِياءُ بَعضٍ يَأمُرونَ بِالمَعروفِ وَيَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَيُقيمونَ الصَّلاةَ وَيُؤتونَ الزَّكاةَ وَيُطيعونَ اللَّهَ وَرَسولَهُ أُولئِكَ سَيَرحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزيزٌ حَكيمٌ} [التوبة: ٧١]

يقول الشيخ السِعدي:

لما ذكر أن المنافقين بعضهم أولياء بعض، ذكر أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، ووصفهم بضد ما وصف به المنافقين، فقال: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ} أي ذكورهم وإناثهم {بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} في المحبة والموالاة، والانتماء والنصرة.

{يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ} وهو: اسم جامع، لكل ما عرف حسنه، من العقائد الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، وأول من يدخل في أمرهم أنفسهم.

{وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} وهو كل ما خالف المعروف وناقضه من العقائد الباطلة، والأعمال الخبيثة، والأخلاق الرذيلة.

{وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} أي لا يزالون ملُازمين لطاعةِ الله ورسوله على الدوام.

{أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ} أي يُدخلهم في رحمته، ويشملهم بإحسانه.
﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي: قوي قاهر، ومع قوته فهو حكيم، يضع كل شيء موضعه اللائق به الذي يحمد على ما خلقه وأمر به.
ويطيعون الله ورسوله.

✓هذا من أسباب نيل رحمة الله، إن العبد يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأن يُقيم الصلاة ويُؤتي الزكاة، ويُطيع الله -عز وجل- ورسوله.

□ قال تعالى:
{إِنَّمَا المُؤمِنونَ إِخوَةٌ فَأَصلِحوا بَينَ أَخَوَيكُم وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُم تُرحَمونَ} [الحجرات: ١٠]

يقول الشيخ السِعدي:

هذا عقد، عقده الله بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أي شخص كان، في مشرق الأرض ومغربها، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين، أُخوة توجب أن يُحب له المؤمنون ما يحبون لأنفسهم، ويكرهون له، ما يكرهون لأنفسهم.

وقال رسول الله ﷺ: "المؤمن للمؤمن، كالبنيان يشد بعضه بعضًا" وشبك -صلى الله عليه وسلم- بين أصابعه.

ولقد أمر الله ورسوله، بالقيام بحقوق المؤمنين، بعضهم لبعض، وبما به يحصل التآلف والتوادد، والتواصل بينهم، كل هذا، تأييد لحقوق بعضهم على بعض، فمن ذلك، إذا وقع الاقتتال بينهم، الموجب لتفرق القلوب وتَباغُضها، فليُصلح المؤمنون بين إخوانهم، وليَسعوا فيما به يزول شنآنهم.

ثم أمر بالتقوى عمومًا، ورتب على القيام بحقوق المؤمنين وبتَقوى الله، الرحمة، فقال: {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} وإذا حَصلت الرحمة، حصل خير الدنيا والآخرة.

✅دلت الآية على أن عدم القيام بحقوق المؤمنين، من أعظم حواجب الرحمة، وأن الإيمان، والأخوة الإيمانية من أسباب نزول رحمة الله -عز وجل-.

□ قال تعالى:
{وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ}
[سُورَةُ الأَنبِيَاءِ: ١٠٧]

يقول الشيخ السِعدي:

فهو رحمته المُهداة لعباده، فالمؤمنون به قبلوا هذه الرحمة، وشكروها، وقاموا بها، وغيرهم كفرها، وبدلوا نعمة الله كفراً، وأَبوا رحمة الله ونعمته.

✓أشارت الآية إلى أن من أسباب رحمة الله -عز وجل- طاعة الرسول والاقتداء به -صلى الله عليه وسلم- فهو رحمة أرسلها الله تعالى للعالمين، أَيْ أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لَهُمْ كُلِّهِمْ، فَمَنْ قَبِلَ هَذِهِ الرحمةَ وشكَر هَذِهِ النعمةَ، سَعد فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ رَدّها وَجَحَدَهَا خَسِرَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

كان هذا تحليل سريع لبعض الآيات الواردة عن آثار رحمة الله تعالى، وكذلك بعض الآيات الواردة عن كيفية نيل رحمة الله -عز وجل-

(الدرس الرابع)

هذا هو الدرس الرابع من شرح اسم الله (الرحمن الرحيم).أسأل الله - عز وجل- أن يفتح لنا فتحاً مبيناً، وأن لكل ما يُحب ويرضى، وأن يوفقنا للعيش معه بكل أسمائه الحُسنى، وأن يرزق قلوبنا جنة معرفتهِ والتعبد له سبحانه بجميع أسمائه الحُسنى.

♦ في هذا اللقاء -إن شاء الله- سوف نتناول:

- حظ العبد من التعبد لله -عز وجل- باسميه باسميه)الرحمن الرحيم).

- كيف ينال العبد رحمة الله -عز وجل-.

□حظ العبد من اقتران الاسمين معاً.

أسأل الله -عز وجل- أن يفتح لنا فتحاً مبيناً، وأن يُيَسر لنا..

♦حظ العبد من التعبد لله -عز وجل- باسميه (الرحمن الرحيم).

✓أكبر حظ يخرج العبد به من التعبد لله -عز وجل- باسميه (الرحمن الرحيم)،
أن ينال العبد حظاً وافراً من الرحمة، وأن يكون مُتصفاً بها، وأن يجتهد في الاتصاف بالرحمة .

هناك أحاديث كثيرة في فضل الرحمة. كما أوضحت أن أكثر صفة ورد ذكرها في كتاب الله -عز وجل- هي صفة الرحمة، الله -عز وجل- رحمته غلبت غضبه، وإمام الراحمين هو الرسول ﷺ.

ولكي نتحلى بصفات الرحمة، علينا تناول جانب من حياة الرسول ﷺ لنعرف مدى رحمته، فكثيراً ما يواجه الإنسان بصفة يومية مجموعة من الضغوط التي تتنوع ما بين الضغوط في العمل أو الضغوط الاجتماعية أو المادية أو الأسرية، لكن لا بد من تخطيها وعدم عكسها على الآخرين.

ومن أفضل طرق التخلص من هذه الضغوط، الإستماع إلى الأحاديث النبوية التي تصف رحمة الرسول ﷺ وعفوه وسماحته مع الآخرين، مما يجعل الإنسان يعفو ويصفح، ولا يرد الإساءة لمن أساء إليه وظلمه.

عندما نعلم أن صفة الرحمة هي من أكثر الصفات وروداً في كتاب الله -عز وجل- وأن النبي ﷺ هو أرحم الراحمين، نسعى للتحلي

بهذه الصفة العظيمة دون النظر إلى الناس، مع الحفاظ على حالة من الهدوء النفسي عند التعرض للضغوط النفسية.

□أدعية النبي ﷺ بالرحمة:-

- قال رسول الله ﷺ: "رحِم اللهُ امرءًا صلَّى قبل العَصرِ أربعًا"

- قال رسول الله ﷺ: " رحم اللهُ رجلًا قام من اللَّيلِ فصلَّى و أيقَظَ امرأتَه ، فإن أبَتْ نضحَ في وجهِها الماءَ ،
و رحم اللهُ امرأةً قامتْ مِن اللَّيلِ فصلَّتْ و أيقظتْ زوجَها ، فإن أبى نضحَتْ في وجهِه الماءَ"

- قال رسول الله ﷺ: "رحم الله رجلًا سمحًا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى"

- قال النبي ﷺ: "رَحِمَ اللهُ عبدًا قال خيراً فَغَنِمَ أو سَكَتَ عن سوءٍ فسَلِمَ"

- قال رسول الله ﷺ "المَلائِكَةُ تُصَلِّي علَى أحَدِكُمْ ما دامَ في مُصَلّاهُ، ما لَمْ يُحْدِثْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ له، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، لا يَزالُ أحَدُكُمْ في صَلاةٍ ما دامَتِ الصَّلاةُ تَحْبِسُهُ، لا يَمْنَعُهُ أنْ يَنْقَلِبَ إلى أهْلِهِ إلَّا الصَّلاةُ"

وإنما سُميت صلة الرحم بهذا لأن الصلة بمعنى الوصل، والأرحام تعني الأقارب ذوات الرحم الواحدة، والمقصود منه عدم القطيعة بين الأقارب، والحث على زيارتهم، والتراحم فيما بينهم.

قال رسول الله ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه"

كما أن هناك رحمة عامة وصى بها رسول الله ﷺ حيث قال: لا يَرْحَمُ اللَّهُ مَن لا يَرْحَمُ النَّاسَ"

كما نرى في هذه الأحاديث الحضُّ على استعمالِ الرَّحمةِ والتحلي بها.

✅من ثمرات الإيمان باسمي الله) الرحمن الرحيم(، دعاء الله -عز وجل- باسميه) الرحمن الرحيم(، فإن الدعاء من أعظم ما تُدرك به المطالب والمطامع.

✴بَيَنَ الله -عز وجل- أن طلب الرحمة دعوة الأنبياء، قال تعالى:
{وَأَيّوبَ إِذ نادى رَبَّهُ أَنّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرحَمُ الرّاحِمينَ}
[الأنبياء: ٨٣]

وقال الله -عز وجل- عن سيدنا سليمان -عليه السلام-:
{رَبِّ أَوزِعني أَن أَشكُرَ نِعمَتَكَ الَّتي أَنعَمتَ عَلَيَّ وَعَلى والِدَيَّ وَأَن أَعمَلَ صالِحًا تَرضاهُ وَأَدخِلني بِرَحمَتِكَ في عِبادِكَ الصّالِحينَ}
[النمل: ١٩]

كذلك دعاء سيدنا موسى، قال تعالى:
{قالَ رَبِّ اغفِر لي وَلِأَخي وَأَدخِلنا في رَحمَتِكَ وَأَنتَ أَرحَمُ الرّاحِمينَ} [الأعراف: ١٥١]

ودعاء سيدنا آدم بالرحمة، قال تعالى:
{قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ}
[سُورَةُ الأَعۡرَافِ: ٢٣]

✴أمر الله -عز وجل- رسول الأُمة ﷺ بسؤال الرحمة، فالعبد يحرص على أن يسأل الله -عز وجل- الرحمة والمغفرة، قال تعالى:

{ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ } [سُورَةُ المُؤۡمِنُونَ: ١١٨]

﴿رَبِّ اغْفِرْ﴾ لنا حتى تُنجينا من المكروه، وارحمنا، لتوصلنا برحمتك إلى كل خير ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ فكل راحم للعبد، فالله خير له منه، أرحم بعبده من الوالدة بولدها، وأرحم به من نفسه.

✶بَيَنَ الله -عز وجل- أن الرحمة هي دعاء عبادِهِ الناجين من عذابه سبحانه، قال تعالى:
{إِنَّهُ كانَ فَريقٌ مِن عِبادي يَقولونَ رَبَّنا آمَنّا فَاغفِر لَنا وَارحَمنا وَأَنتَ خَيرُ الرّاحِمينَ} [المؤمنون: ١٠٩]

✶عَلَمَ رسول الله ﷺ أمته سؤال الله الرحمة في يومهم وليلتهم، ومن ذلك عن أَبي بكْرٍ الصِّدِّيقِ، أَنَّه قَالَ لِرَسولِ اللَّه ﷺ: "عَلِّمني دُعَاءً أَدْعُو بِهِ في صَلاتي، قَالَ: قُلْ: اللَّهمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كثِيرًا، وَلا يَغْفِر الذُّنوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِر لي مغْفِرَةً مِن عِنْدِكَ، وَارحَمْني، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفور الرَّحِيم" متَّفَقٌ عليهِ.

فهذا الحديث تعلق وتعود بالدعوات التي كان يدعو بها النبي ﷺ، والمؤمن يشرع له الدعاء دائماً، وأن لا يمل الدعاء ولا ييأس، بل يُكثر من الدعاء، لأن الدعاء محبوب إلى الله -جل وعلا- فيُستحب للمؤمن أن يُكثر من سؤال الرحمة فينتفع بها في الدنيا والآخرة.

✶علَّمَنا النَّبيُّ -صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- الآدابَ التي ينبغي مراعاتُها في كثيرٍ من الأوقاتِ حتى يَكونُ العبد في رِعايةِ اللهِ وَحْدَه ورحمته حتى أثناء نومه.

أيضا قال النبي ﷺ:

"إذا أوَى أحَدُكُمْ إلى فِراشِهِ، فَلْيَنْفُضْ فِراشَهُ بداخِلَةِ إزارِهِ؛ فإنَّه لا يَدْرِي ما خَلَفَهُ عليه، ثُمَّ يقولُ: باسْمِكَ رَبِّ، وضَعْتُ جَنْبِي، وبِكَ أرْفَعُهُ، إنْ أمْسَكْتَ نَفْسِي فارْحَمْها، وإنْ أرْسَلْتَها فاحْفَظْها بما تَحْفَظُ به عِبادَكَ الصَّالِحِينَ."

✶دعاء المكروب؛ قال رسولُ اللهِ ﷺ في دعاء المُضطَرِّ: "اللَّهُمَّ رحمتَك أرجو فلا تَكِلْني إلى نفسي طَرْفةَ عَينٍ وأصلِحْ لي شأني كُلَّه، لا إلهَ إلَّا أنت"

✶بَيان حاجةِ العبدِ للتَّضرُّعِ لربِّه، والحثُّ على طَلَبِ المغفرةِ والرَّحمةِ والرِّزقِ؛ فهي جِماعُ الخيرِ.

فعن سعد بن أبي وقاص، جاء أعرابيٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: "يا رسولَ اللهِ علِّمْني كلامًا أقولُه قال: (قُلْ : لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له اللهُ أكبَرُ كبيرًا والحمدُ للهِ كثيرًا وسُبحانَ اللهِ ربِّ العالَمينَ ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ العلِيِّ العظيمِ العزيزِ الحكيمِ) قال: هؤلاءِ لربِّي فما لي ؟ قال: قُلِ: اللَّهمَّ اغفِرْ لي وارحَمْني واهدِني وارزُقْني)"

✶الاجتِهادُ في الدُّعاءِ، وأنْ يَكونَ الدَّاعي على رَجاءِ الإجابةِ، ولا يَقنَطَ مِن رَحمةِ اللهِ تعالَى؛

قال رسولُ اللهِ ﷺ: "لا يقولُ أحدُكم اللَّهمَّ اغفِر لي إن شِئت اللَّهمَّ ارحَمني إن شئت ليعزِمِ المسألةَ فإنَّه لا مُكرِه لهُ"
يقول القرطبي مٌعلقاً عن هذا: (نهى الرسول ﷺ عن ذلك القول لأنه يدل على فتور الرغبة وقلة الاهتمام بالمطلوب، فإن هذا القول يتضمن أن هذا المطلوب إن حصل وإلا استغنى عنه، ،ومن كان هذا حاله لم يتحقق من حالته الافتقار والإضراب الذي هو روح عبادة الدعاء،ودليل على قلة معرفته بذنوبه وبرحمة ربه، وأيضا

فإنه لا يكون موقنا بالإجابة وفي الحديث "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة"، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاهي)

والمقصود، أن دعاء العبد لابد أن يكون فيه عبادة، والاضطرار وتذلل لله، وافتقار إليه -عز وجل-، وإلا فإن العبد غافلاً عن ذنوبه وعن رحمة الله.

من ثمرات الإيمان باسمي الله (الرحمن الرحيم)، إثبات صفة الرحمة لله -عز وجل-

وكما أوضحت أن صفة الرحمة ثابتة لله -عز وجل' بالكتاب والسُنة، وهي صفة تدل على كمال الله -عز وجل- فمن كماله سبحانه أن يرحم من يشاء ويعذب من يشاء، وبهذا فلا يجوز أن ننفي صفة الرحمة أو نُعطلها.

حظ العبد من التعبد لله -عز وجل- باسميهِ الله) الرحمن الرحيم)، محبة الله -عز وجل-

أن يحب العبد ربه، ويعرف أن الله -عز وجل- شديد الرحمة، قال تعالى:
{وَأَدۡخِلۡنَا فِى رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ} [سُورَةُ الأَعۡرَافِ: ١٥١]
فرحمة الله -عز وجل- حصن حصين من كل الشرور التي قد تُصيب المرء.

إن أكبر حظ للعبد من التعبد لله باسميه) الرحمن الرحيم)، أن ينال محبة الله -عز وجل- فيعرف العبد سعة رحمة ربه، فيُحبه ويتعلق به، وينظر في أسرار رحمة الله -عز وجل- في كل مكان.

إذا أيقن العبد رحمة الله تعالى، تجردت محبته لله -عز وجل- وأصبحت خالصة لله، وكذلك تُصبح عبوديته صادقة لله، فيُقدم

محبة الله على النفس والمال وعلى كل شيء، فيُسارع في مرضات ربه، بالتوحيد والجهاد وفعل كل ما يحبه الله -عز وجل- ويرضاه.

✅من ثمرات الإيمان باسميهِ الله (الرحمن الرحيم)، عبودية الرجاء والتعلق برحمة الله -عز وجل-

يجب ألا ييأس العبد من رحمة الله، وأن ينظر العبد إلى رحمة الله الواسعة، مما يُثمر الأمل في النفوس، ويورث الإنسان حُسن الظن بالله وانتظار الفرج.
قال تعالى:
{وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ} [سُورَةُ الأَعۡرَافِ: ٤٣]
قال بعض السلف: (أهل الجنة نجوا من النار بعفو الله، وأُدخلوا الجنة برحمة الله، واقتسموا المنازل وورثوها بالأعمال الصالحة وهي من رحمته، بل من أعلى أنواع رحمته).

✅حظ العبد من التعبد لله -عز وجل- باسميه (الرحمن الرحيم)، الطمأنينة لله -عز وجل- الطمأنينة.

أن يطمئن العبد لأقدار الله -عز وجل- فيؤمن بالله تعالى ويرضى به رباً ومدبراً لأمرهِ، يشعر بقرب الفرج عند حلول المحن و نزول البلايا. الإنسان متقلب بين السراء والضراء، ولكن رحمة الله -عز وجل- وسعت كل شيء.

✅من ثمرات الإيمان باسمَي الله (الرحمن الرحيم)، الحياء من الله -عز وجل-

وَاعلَم أيها العبد أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَاظِرٌ إِلَيكَ، مُطَّلِعٌ عَلَيكَ، فلا تبارز الله بالمعاصي والذنوب، وتذكر دائماً أن رحمة الله قريبٌ من المحسنين، قال تعالى:

{وَلَا تُفۡسِدُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ}
[سورة الأعراف: ٥٦]

فكلما كان العبد أكثر إحساناً، كان أقرب إلى رحمة الله تعالى، فيُخلص في العبادة ويُحسن إلى عِباد الله، يكرمهم بسدِّ جوعهم، وستر عورتهم، وعدم احتقارهم وازدرائهم، وعدم المساس بهم بسوء، وإيصال النَّفع إليهم بما يستطيع، والتَّلطُّف معهم في القول وحسن المعاملات.

✅من ثمرات الإيمان باسمَي الله (الرحمن الرحيم)، تعظيم التألي على الله -عز وجل-

التَّألِّي على اللَّهِ أَنْ يقولَ الإنسان وَاللهِ لَيُدْخِلَنَّ فلَانا النارَ، لأن رحمة الله واسعة، فقد يقول الله -عز وجل- للمُذنب أدخل الجنة برحمتي، ويقول للآخر أدخل النار لأنه أُعجب بعمله.

وكلما استحى العبد من ربه بكثرة ذنوبه ومعاصيه، رَجَى رحمته فلا يستطيع التألي على الله -عز وجل-.

✅حظ العبد من التعبد لله -عز وجل- باسميه (الرحمن الرحيم)، أن ينقطع إلى الله -عز وجل- ويُعرض عما سواه.

عندما تستقر هذه العقيدة داخل العبد تعتدل موازينه، فمَا شَاءَ الله كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ؛ وَأَنَّهُ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، فالله -عز وجل- مُنفرد بالتدبير والعطاء والمنع، وهذا يُوجب التعلق بالله تعالى، والافتقار إليه من جميع الوجوه، وأن لا يدعى إلا هو، ولا يخاف ويرجى إلا هو سبحانه.
قال تعالى:

{مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ}
[سُورَةُ فَاطِرٍ: ٢]

يقول ابن القيم في مدارج السالكين: (إِذَا تَعَلَّقَ بِغَيْرِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى مَا تَعَلَّقَ بِهِ، فَلَا عَلَى نَصِيبِهِ مِنَ اللَّهِ حَصَلَ، وَلَا إِلَى مَا أَمَّلَهُ مِمَّنْ تَعَلَّقَ بِهِ وَصَلَ)

✅من أكبر ثمرات الإيمان باسمَي الله (الرحمن الرحيم) مخافة العبد من الله -عز وجل- وحده.

فَأَعْظَمُ النَّاسِ خِذْلَانًا مَنْ تَعَلَّقَ بِغَيْرِ اللَّهِ، والخوف من الله -عز وجل- يقمع الشهوات، ويذل القلب، فيصير العبد مستوعباً رحمة ناظراً في عاقبته وعقوبته، فلا يتفرغ لغيره، ولا يكون له شغل إلا مراقبة الله سبحانه، ومحاسبة نفسه، والمجاهدة في ترك المعاصي والذنوب ابتغاء مرضاة الله
قال تعالى:
{وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ}
[سُورَةُ الحَدِيدِ: ٢٥]

✅حظ العبد من التعبد لله -عز وجل- باسميه (الرحمن الرحيم)، دعاء الله بهذين الاسمين.

دعاء الله -عز وجل- ليل نهار أن يرحمني، وأن يدخلني رحمته، ويعزم في الدعاء ويُصر على الله، كما ذكرت منذ قليل بعض الأحاديث التي ورد فيها دعاء الأنبياء والصالحين، قال الله -عز وجل-

{قُل بِفَضلِ اللَّهِ وَبِرَحمَتِهِ فَبِذلِكَ فَليَفرَحوا هُوَ خَيرٌ مِمّا يَجمَعونَ} [يونس: ٥٨]

ولقد حَضَّ الله -عز وجل- على التخلق بالرحمة، وأن يبذلوا ويجتهدوا أن يكونوا رحماء بين الناس، قال تعالى؛
{لَقَد جاءَكُم رَسولٌ مِن أَنفُسِكُم عَزيزٌ عَلَيهِ ما عَنِتُّم حَريصٌ عَلَيكُم بِالمُؤمِنينَ رَءوفٌ رَحيمٌ} [التوبة: ١٢٨]

يمتن الله تعالى على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأُمي الذي من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يكون العبد ذليلاً لله إلا إذا تمتع بقسط كبير من الرحمة.

كان الصَّحابةُ -رضِيَ اللهُ عنهم- يَجمَعون في أخلاقِهم كُلَّ الصِّفاتِ الحَميدَةِ، وربَّما امتازَ وتفوَّقَ أحدُهم في إحْدى تلك الصِّفاتِ على غيرِه من أصحابِه، قال رسول الله ﷺ:
"أرْأَفُ أمتي بأمتي أبو بكرٍ"

وقد اشتُهِرَ سيدنا أبو بَكرٍ -رضِيَ اللهُ عنه- بالرَحْمةً، فقد كان غالِبُ أمْرِه وشأْنِه العَطفَ والرَّحْمةَ واللِّينَ مع الكَبيرِ والصغيرِ -رضِيَ اللهُ عنه- فجمع بين سعة العلم وسعة الرحمة.

وقال رسول الله ﷺ: "إنَّما يرحمُ اللهُ من عبادِه الرُّحماءَ" سبحان الله! فإن رحمةَ اللهِ تختَصُّ بمن اتَّصف بالرَّحمةِ وتحقَّق بها وبذل من أجلها.

□كيف تكون الرحمة في العلم؟

فإن العلم إذا تجرد عن الرحمة صاحبه بغي وظلم، وربما صار سلطة تتحرك بها النفوس الجامحة إلى التسلط والعداون، فلا ترى فيه إشراق الرحمة والسعادة والطمأنينة.

وربما نفر طلاب العلم من السعي له، إذا غابت عنه الرحمة فلابد أن يتحلى العلماء بالرحمة، لبسط العلم ونشره، فإن نشر العلم بالرحمة يعني التآزر والتعاطف والتعاون، وبذل الخير والمعروف والإحسان لمن هو في حاجة إليه، كتعليم الناس أصول الفقه والتجويد ودلهم على دروس العلم والعلماء.

قَالَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

"إِنَّ مَثَل مَا بعثني اللَّه بِهِ منَ الْهُدَى والْعلْمِ كَمَثَلَ غَيْثٍ أَصَاب أَرْضاً فكَانَتْ طَائِفَةٌ طَيبَةٌ، قبلَتِ الْمَاءَ فأَنْبَتتِ الْكلأَ والْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمسكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللَّه بِهَا النَّاس فَشَرِبُوا مِنْهَا وسَقَوْا وَزَرَعوا. وأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينَ اللَّه، وَنَفَعَه بمَا بعَثَنِي اللَّه بِهِ، فَعَلِمَ وعَلَّمَ، وَمثلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذلِكَ رَأْساً ولَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ" متفقٌ عَلَيهِ.

كيف تكون الرحمة في المال؟

رحمة الله تكمن في قضاء حوائج الناس، ودفع الظلم عنهم، فمن الناس من يشبع وجاره جائع، ومنهم من يلبس أفخر الثياب وجاره لا يجد ما يستر عورته، ومنهم من يسكن القصور الشاهقة، وهؤلاء ينامون على الأرصفة، فهل هذه هي الرحمة التي أتى بها النبي ﷺ؟ وهل هذا هو منهج الإسلام في التعامل مع الآخرين؟!

أولى الناس بالرحمة:

الوالدين:

قال تعالى:

{وَقَضى رَبُّكَ أَلّا تَعبُدوا إِلّا إِيّاهُ وَبِالوالِدَينِ إِحسانًا} [الإسراء: ٢٣]
أي أحسنوا إليهما بجميع وجوه الإحسان القولي والفعلي، لأنهما سبب وجود العبد، ولهما من المحبة للولد والإحسان إليه والقرب ما يقتضي تأكد الحق ووجوب البر.

□الأزواج والأولاد:

كذلك الرحمة بالأزواج والأولاد، وقد قَبَّلَ رَسولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ- الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ وعِنْدَهُ الأقْرَعُ بنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، "فَقَالَ الأقْرَعُ: إنَّ لي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ ما قَبَّلْتُ منهمْ أحَدًا، فَنَظَرَ إلَيْهِ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ثُمَّ قَالَ: أَوَ أَمْلِكُ إنْ كَانَ اللَّه نَزعَ مِنْ قُلُوبِكُم الرَّحمَةَ"

فإن أولى الناس بالخير والبر والإحسان والمساعدة هم الأقرباء والأهل، فينبغي لأهل الإسلام أن يعنوا بهذه الأمور، وأن يَجُودوا حتى يجود الله عليهم، وأن يُحسنوا إلى ذويهم حتى يحسن الله -عز وجل- إليهم، فقد يكون الإنسان رحيماً بالعامة ويغفل عن وجوب رحمته بالاقربون.

ينبغي للمؤمن أن يكون رحيمًا، رقيقًا، يحب الخير للمسلمين، ويرحمهم ويعطف عليهم، ولا سيَّما مع الصبيان والضعفاء، والنساء.

□المُخطئين والمُذنبين:

وإذا كان الناس عامة بحاجة إلى الرحمة والرعاية، فإن العُصاة والمذنبين بحاجة خاصة أن نأخذ بيدهم ولا أن نتركهم فنكون عوناً للشيطان عليهم، بل ننظر إليهم بعين الرحمة حامدين الله -عز وجل- أن وقانا شر الفتن والمعاصي، فلا يجوز أن تكون فظًّا غليظًا

معهم، بل تعامل معهم على أنهم غرقى فتأخذ بأيديهم إلى سُبل الهداية والتوبة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في أهل البدع: (ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر، والحيرة مستولية عليهم والشيطان على مستحوذ عليهم، رحمتهم ورفقت عليهم، أوتوا ذكاءًا وما أوتوا زكاةً، ولكنهم لم يُزكوا أنفسهم بلزوم طاعة الله -عز وجل- وأُعطوا فهوماً وما أُعطوا علوماً، وأُعطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدةً، {فَما أَغنى عَنهُم سَمعُهُم وَلا أَبصارُهُم وَلا أَفئِدَتُهُم مِن شَيءٍ إِذ كانوا يَجحَدونَ بِآياتِ اللَّهِ وَحاقَ بِهِم ما كانوا بِهِ يَستَهزِئونَ} [الأحقاف: ٢٦])

□الرحمة بعموم الناس:

الرحمة صفة كسائر صفات الخير تُكتسب لمن سعى لها سعيها طالباً من الله صادقاً أن يرزقه إياها كصفة العلم وغيرها من الصفات الطيبة التي حثنا عليها القرآن والسُنة.

ينبغي على العبد أن يُحسن إلى الناس بما يستطيع بالقول والفعل والمال والجاه، فكل ذلك يُقرب الإنسان من رحمة ربه، وكما ذكرنا قول الله تعالى:
{إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ}
[سورة الأعراف: ٥٦]

♦أسباب التي تجلب الرحمة:-

يرحم الله عباده بحسنات يُضاعفها، وموازين يُثقلها، يرحمهم بوجوه يُبيضها، ويرحمهم بذنوب يغفرها وعيوب يسترها، ولكن يعيش الإنسان في ضغوط الحياة، مما يجعله يضيق صدره ولا يستطيع

البذل، فإذا تذكر رحمة الله عليه سعى مرة أخرى طالباً العون من الله -عز وجل-

يقول الشيخ السِعدي:
(فلا يزال العبد يتعرف الأسباب التي يُدرك بها هذا الوصف الجليل، ويجتهد في التحقق به حتى يمتلئ قلبه من الرحمة والحنان على الخلق)

ومن الأسباب التي تجلب الرحمة:

□ معرفة جزاء الرحماء وثوابهم، وأنهم هم الجديرون برحمة الله دون غيرهم.

ومعرفة عقوبة الله لأصحاب القلوب القاسية؛ فإنَّ هذا مما يدفع للتخلق بصفة الرحمة، ويردع عن القسوة.

✰دعاء الله باسمَّيه)الرحمن الرحيم(بالفوز بالرحمة وغيره من أسمائه الحسنى.

كأن تقول: يا رحمن ارحمني، اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شي أن تغفر لي وترحمني إنك أنت الغفور الرحيم، ومن ذلك الدعاء الوارد في قوله تعالى: {رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدًا}
[سُورَةُ الكَهۡفِ: ١٠]

□ مجالسة الرحماء ومخالطتهم، والابتعاد عن ذوي الغلظة والفظاظة.

فالمرء يكتسب من جلسائه طباعهم وأخلاقهم.(الرَّاحِمونَ يرحَمُهم الرَّحمنُ)، أي الَّذين يَرحَمون مَن في الأرضِ مِن إنسانٍ أو حيوانٍ أو طيرٍ أو غيرِه؛ شَفَقةً ورَحمةً ومُواساةً، يَرحَمُهم الرَّحمنُ برَحمتِه الَّتي وَسِعَت كلَّ شيءٍ، فيَتفضَّل عليهم بعَفوِه وغُفرانِه وبرِّه وإحسانِه؛ جزاءً وفاقًا.

□ القراءة في سيرة رسول الله ﷺ والتدبر في معالمها، والتأسّي به في مواقف رحمته صلى الله عليه وسلم.

دراسة حياة النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- وأخباره وأخبار أصحابه، والحرص على الاقتداء بأخلاقه مما يُكسب الرحمة والتحلي بالصبر على ضغوط الحياة ومخالطة الجهلاء، وإذهاب غلاظة وقساوة القلب.

قراءة سيرة النبي تُساعد في تربية الأولاد على خُلقه العظيم، ومحاولة غرس الرحمة في قلوبهم.

□ الاختلاط بالضعفاء والمساكين وذوي الحاجة.

فهذا يُرقق القلب ويدعو للرحمة والشفقة بالخلق،

□ تربية الأبناء على هذا الخلق العظيم.
كذلك محاولة غرسه في قلوبهم، ومتى نشأ الناشئ على الرَّحْمَة ثبتت في قلبه وأصبحت سجيَّة له بإذن الله.

♦وقفة:

{وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ}
[سُورَةُ الأَنبِيَاءِ: ١٠٧]

أي وما ارسلناك يا محمد إلا رحمة للعالمين، فهو رحمته المُهداة لعباده، فالمؤمنون به، قبلوا هذه الرحمة، وشكروها، وقاموا بها، وغيرهم كفرها، وبدلوا نعمة الله كفراً، وأَبوا رحمة الله ونعمته.

قال الطبري: وقوله {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، وما أرسلناك يا محمد إلى خَلقِنا إلا رحمة لمن أرسلناك إليه من خلقي.

اختلف أهل التأويل في معنى هذه الآية، أجميع العالم الذي أرسل إليهم محمد أريد بها مؤمنهم وكافرهم؟ أم أريد بها أهل الإيمان خاصة دون أهل الكفر؟

فقال بعضهم: عَنيَ بها جميع العالم المؤمن والكافر.

قال ابن عباس ، في قول الله؛
{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} من آمن بالله واليوم الآخر كُتب له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله، عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف.

وقال آخرون: بل أريد بها أهل الإيمان دون أهل الكفر، قال:
العالمون: من آمن به وصدّقه، قال {وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} قال: فهو لهؤلاء فتنة ولهؤلاء رحمة، وقد جاء الأمر مُجملا رحمة للعالمين، والعالمون ههنا: من آمن به وصدّقه وأطاعه.

✓يقول الطبري: وأولى القولين في ذلك بالصواب؛
القول الذي رُوي عن ابن عباس، وهو أن الله أرسل نبيه محمدا ﷺ رحمة لجميع العالم، مؤمنهم وكافرهم .

فأما مؤمنهم فإن الله هداه به، وأدخله بالإيمان به، وبالعمل بما جاء من عند الله الجنة.

وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذّبة رسلها من قبله.

(الدرس الخامس)

هذا هو الدرس الخامس من شرح اسم الله (الرحمن الرحيم .)أسأل الله -عز وجل- أن يفتح لنا فتحاً مبيناً، وأن لكل ما يُحب ويرضى، وأن يوفقنا للعيش معه بكل أسمائه الحُسنى، وأن يرزق قلوبنا جنة معرفتهِ والتعبد له سبحانه بجميع أسمائه الحُسنى.

تحدثت في الدرس الماضي عن أن من ثمرات الإيمان باسمَي الله - عز وجل-)الرحمن الرحيم (التخلق بخلق الرحمة، وأنه على العبد أن يقتدي بالنبي ﷺ في خلقه.

الآن سوف أكمل الحديث من كتاب "التحرير والتنوير" لابن عاشور حول قوله تعالى:
{وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ}
[سُورَةُ الأَنبِيَاءِ: ١٠٧]

يقول النبي ﷺ "يا أيُّها النَّاسُ إنَّما أنا رحمةٌ مُهداةٌ"

 ودَلَّ الحديث على أن رحمة النبي ﷺ صفة متمكنة من إرساله، وتفصيل ذلك يظهر في مظهرين:

- المظهر الأول: تخلق نفسه ﷺ الزكية بخُلق الرحمة.

● المظهر الثاني: إحاطة الرحمة بتصاريف شريعته.

✅المقصود بالمظهر الأول:
أي أن النبي محمد ﷺ فُطر على خُلق الرحمة في جميع أحوال معاملته الأمة، لتتكون مناسبة بين روحه الزكية وبين ما يُلقى إليه من الوحي بشريعته التي هي رحمة، حتى يكون تلقيه الشريعة عن انشراح نفس أن يجد ما يوحَى به إليه ملائماً رغبتَه وخلقه.

☆قالت السيدة عائشة -رضي الله عنها- "كان خلقُه القرآن"، ولهذا خصّ الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - في هذه السورة بوصف الرحمة ولم يصف به غيره من الأنبياء، وكذلك في القرآن كله، حيث قال الله -عز وجل-
{لَقَد جاءَكُم رَسولٌ مِن أَنفُسِكُم عَزيزٌ عَلَيهِ ما عَنِتُّم حَريصٌ عَلَيكُم بِالمُؤمِنينَ رَءوفٌ رَحيمٌ} [التوبة: ١٢٨]

☆وقال تعالى:
{فَبِما رَحمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهم} [آل عمران: ١٥٩]

أي برحمة جبلَك عليها الله -عز وجل- وفَطرك بها فكنت لهم لَيِّناً، وفي حديث مسلم: أن رسول الله لما شُجّ وجههُ يوم أُحد شقّ ذلك على أصحابه فقالوا: لو دعوت عليهم فقال ﷺ: "إني لم أُبعث لعاناً وإنما بُعثتُ رحمة".

☆وبهذا فقد دَلَّ المظهر الأول على أن الله -عز وجل- زين النبي محمداً ﷺ بزينة الرحمة، فكان كونه رحمة وجميع شمائله رحمة وصفاته رحمة على الخلق -صلى الله عليه وسلم-.

☆ انظر إلى الفائدة الجميلة التي ذُكرت في كتاب الوسيط في قوله:
{بِالمُؤمِنينَ رَءوفٌ رَحيمٌ} أى شديد الرأفة والرحمة بكم- أيها المؤمنون- والرأفة عبارة عن السعى في إزالة الضرر، والرحمة

عبارة عن السعى في إيصال النفع، فهو -صلى الله عليه وسلم- يسعى بشدة في إيصال الخير والنفع للمؤمنين، وفي إزالة كل مكروه عنهم.

☆وقال بعضهم: لم يجمع الله تعالى لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبي ﷺ فإنه قال {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءوفٌ رَحيمٌ} وقال عن ذاته- سبحانه- إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ.

☆يقول الشيخ السِعدي في قوله تعالى: {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءوفٌ رَحيمٌ} أي شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم، ولهذا كان حقه مُقدمًا على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأُمة الإيمان به، وتعظيمه، وتعزيره، وتوقيره.

✓المقصود بالمظهر الثاني:
من مظاهر كونه رحمة للعالمين فهو مظهر تصاريف شريعته، أي ما فيها من مقومات الرحمة العامة للخلق كلهم لأن قوله تعالى {لِّلۡعَٰلَمِينَ} مُتعلق بقوله {رَحۡمَةً }لاستغراق كل ما يصدق عليه اسم العالم، والعالَم الصنف من أصناف ذوي العلم، أي الإنسان، أو النوع من أنواع المخلوقات ذات الحياة.

☆خصّ الله -عز وجل- الشريعة الإسلامية بوصف الرحمة الكاملة، فأُقيمت شريعة الإسلام على دعائم الرحمة والرفق واليسر، قال تعالى:
{وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ}
[سُورَةُ الحَجِّ: ٧٨]
وقال تعالى: {يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ} [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٨٥]

☆وقال النبي ﷺ "بُعثت بالحنيفية السمحة" وما يتخيل من شدة في نحو القِصاص والحدود فإنما هو لمراعاة تعارض الرحمة والمشقة كما أشار إليه قوله تعالى: {وَلَكُمۡ فِى ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُوْلِى ٱلۡأَلۡبَـٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ}
[سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٧٩] فَالقصاص والحدود شدة على الجُناة ورحمة ببقية الناس.

☆أما رحمة الإسلام بالأمم غير المسلمين فإنما نعني به رحمته بالأمم الداخلة تحت سلطانه وهم أهل الذمة. ورحمته بهم عدمُ إكراههم على مفارقة أديانهم، وإجراءُ العدل بينهم في الأحكام بحيث لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم في الحقوق العامة.

☆هذا وإن أُريد {لِّلۡعَـٰلَمِينَ} في قوله تعالى: {وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَـٰلَمِينَ} النوع من أنواع المخلوقات ذات الحياة؛ فإن الشريعة تتعلق بأحوال الحيوان في معاملة الإنسان إياه وانتفاعه به، إذ هو مخلوق لأجل الإنسان، قال تعالى:
{وَٱلۡأَنۡعَـٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ} {وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ} {وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمۡ تَكُونُواْ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ}
[سُورَةُ النَّحۡلِ: ٥-٧]

وقد أذنت الشريعة الإسلامية للناس في الانتفاع بما يُنتفع به من الحيوان ولم تأذن في غير ذلك.

ورغبت الشريعة في رحمة الحيوان ففي حديث عن أبي هريرة مرفوعاً: "أن الله غفر لرجلٍ وجد كلباً يلهثُ من العطش، فنزل في البئر فملأ خفّه ماء و أمسكه بفمه حتى رقِي فسقَى الكلب فغفر الله له".

أما المؤذي والمُضرّ من الحيوان فقد أُذن في قتله وطرده لترجيح رحمة الناس على رحمة البهائم.

☆إن الرسول ﷺ كان له الخلق السامي الرفيع في التعامل مع جميع البشر والحيوانات، ولم يكتفِ بذلك بل أحسن الخُلق مع الجمادات، حتى أنه قال ﷺ عن جبل أُحد "هذا أُحُدٌ، وَهو جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ".

صفة الرحمة من أهم الصفات التي تجلّت في شخصية النبي ﷺ، وقد استمدت هذه الرحمة من طبيعة الإسلام الشمولية، فهي ليست رحمة للبشر فقط، ولكنها رحمة لكل الخلق والخليقة من بشر وحيوان وطير وجماد، لذلك كان أكبر حظ يخرج منه العبد من التعبد لله -عز وجل- باسميه)الرحمن الرحيم(، التخلق بخلق الرحمة، والتأسي بالنبيﷺ في ذلك.

♦حظ العبد من اقتران أسماء الله الحُسنى ببعضها البعض:

✅يقول الطبري :

الله جل ثناؤه الرحمن بجميع خلقه في الدنيا والآخرة، والرحيم بالمؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة. فأما الذي عم جميعهم به في الدنيا من رحمته فكان رحمانا لهم به، فما ذكرنا مع نظائره التي لا سبيل إلى إحصائها لأحد من خلقه.

وأما في الآخرة، فالذي عم جميعهم به فيها من رحمته، فكان لهم رحماناً، تسويته بين جميعهم -جل ذكره- في عدله وقضائه، {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ

أَجۡرًا عَظِيمٗا} [سُورَةُ النِّسَاءِ: ٤٠]، وتوفى كل نفس ما كسبت، فذلك معنى عمومه في الآخرة جميعهم برحمته، الذي كان به رحماناً في الآخرة.

وأما ما خص به المؤمنين في عاجل الدنيا من رحمته، الذي كان به رحيماً لهم فيها، كما قال -جل ذكره-: {وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا} [سُورَةُ الأَحۡزَابِ: ٤٣] فما وصفنا من اللطف لهم في دينهم، فخصهم به دون من خذله من أهل الكفر به.

فاجتماع الاسمين)الرحمن الرحيم(يدل على أن الله يعم برحمته جميع خلقه ويخص المؤمنون بمزيد من الرحمة، لذلك يجب على المسلم التحلي بصفة الرحمة لكل من حوله، وأن يختص بهذه الرحمة من يُحب ومن هو أقرب لله، يمتثل بأوامره ويجتنب نواهيه.

قال تعالى: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ} [سورة المائدة: ٥٤] أي فهم للمؤمنين أذلة من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم ورأفتهم، ورحمتهم بهم وسهولة جانبهم، والتعبير بلفظ الذلة دليل على شدة الرحمة.

✓يقول الدكتور فاضل السامرائي:

الرحمن على وزن فعلان
والرحيم على وزن فعيل

ومن المقرر في علم التصريف في اللغة العربية أن الصفة فعلان تمثل الحدوث والتجدد والامتلاء والاتصاف بالوصف إلى حده الأقصى، فيُقال غضبان بمعنى امتلأ غضباً،

أما صيغة فعيل فهي تدل على الثبوت سواء كان خلقة ويسمى تحول في الصفات، مثل طويل، جميل، قبيح، فلا يُقال خطيب لمن ألقى خطبة واحدة، وإنما تقُال لمن يُمارس الخَطَابة وكذلك الفقيه.

ولذا جاء -سبحانه وتعالى- بصفتين تدلان على التجدد والثبوت معاً، لو قال الرحمن فقط لتوهم السامع أن هذه الصفة طارئة قد تزول كما يزول الجوع من الجوعان والغضب من الغضبان وغيره.

ولو قال رحيم وحدها لفهم منها أن صفة رحيم مع أنها ثابتة، لكنها ليست بالضرورة على الدوام ظاهرة إنما قد تنفك.

مثال:
عندما يُقال فلان كريم، فهذا لا يعني أنه لا ينفك عن الكرم لحظة واحدة، إنما الصفة الغالبة عليه هي الكرم.

□ وجاء سبحانه بالصفتين مجتمعتين (الرحمن الرحيم) ليدل على أن صفاته الثابتة والمتجددة هي الرحمة، ويدل على أن رحمته لا تنقطع، وهذا يأتي من باب الاحتياط للمعنى.

□ وجاء بالصفتين الثابتة (الرحمن) والمتجددة (الرحيم) لا ينفك عن إحداهما، إنما هذه الصفات مستمرة ثابتة لا تنفك البتة غير منقطعة.

♦ تقديم لفظ الجلالة (الله) على (الرحمن الرحيم):-

ذكرت في الدرس الثاني سبب تقديم لفظ الجلالة (الله) على (الرحمن الرحيم)

□ يقول الطبري في تفسير سورة الفاتحة:

لأن من شأن العرب إذا أرادوا الخبر عن مُخبر عنه أن يُقدموا اسمه ثم يُتبعوه صفاته ونعوته.

وهذا هو الواجب في الحكم، أن يكون الاسم مقدماً قبل نعته وصفته، ليعلم السامع الخبرعمن الخبر. فإذا كان ذلك كذلك ـ وكان لله جل ذكره أسماء قد حرم على خلقه أن يتسموا بها، خص بها نفسه دونهم، وذلك مثل "الله" و "الرحمن" و "الخالق"

وأسماء أباح لهم أن يُسمي بعضهم بعضاً بها، وذلك كالرحيم والسميع والبصير والكريم، وما أشبه ذلك من الأسماء.

كان الواجب أن تُقدم أسماؤه التي هي له خاصة (الله) دون جميع خلقه، ليعرف السامع ذلك من توجه إليه الحمد والتمجيد.

ثم يتبع ذلك بأسمائه التي قد تُسمى بها غيره، بعد علم المخاطب أو السامع من توجه إليه ما يتلو ذلك من المعاني .

فبدأ الله -جل ذكره- باسمه لأن الألوهية ليست لغيره -جل ثناؤه- ثم ثنى باسمه، الذي هو الرحمن، إذ كان قد منع أيضاً خلقه التسمي به، وإن كان من خلقه من قد يستحق تسميته ببعض معانيه.

وذلك أنه قد يجوز وصف كثير ممن هو دون الله من خلقه، ببعض صفات الرحمة، وغير جائز أن يستحق بعض الألوهية أحد دونه، فلذلك جاء الرحمن ثانياً لاسمه الذي هو "الله".

وأما اسمه الذي هو "الرحيم" فقد ذكرنا أنه مما هو جائز وصف غيره به، والرحمة من صفاته جل ذكره، فكان ـ إذ كان الأمر على ما وصفنا ـ واقعا مواقع نعوت الأسماء اللواتي هن توابعها، بعد تقدم الأسماء عليها.

□المقصود؛ أن لفظ الجلالة "الله" يدل على الألوهية، والالوهية خاصة لله -عز وجل- وحده، لذا قُدم لفظ الجلالة "الله" على "الرحمن" و"الرحيم"، ثم جاء "الرحمن" التي تدل على صفة الرحمة وهذا الاسم خاص بالله عز وجل فقط، ومن بعدها جاءت "الرحيم".

♦اقتران اسمي (الرحمن الرحيم) مع كلمة التوحيد:-

قال تعالى:
{وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ} [البقرة : ١٦٣]

□ بيان انفراد الله -سبحانه وتعالى- بالألوهية، وعقب ذلك بذكر اسم من الأسماء التي يختص بها سبحانه وهو (الرحمن) وأما (الرحيم) ففيه تنبيه على إثابة من حقق هذا التوحيد.

□ ففي هذه الآية إثبات وحدانية الباري وإلهيته وتقريرها بنفيها عن غيره من المخلوقين، وبيان أصل الدليل على ذلك، وهو إثبات رحمته، التي من آثارها وجود جميع النعم، واندفاع جميع النقم، فهذا دليل إجمالي على وحدانيته تعالى.

□ يقول الشيخ ابن عثيمين:
قال تعالى: {تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ} [فصلت: ٢] مَن يعني به؟

يعني به الربّ -عز وجل- أي تنزيلٌ مِن الله (الرحمن الرحيم) لكنَّه أتى بهذَيْن الاسمين الكريمين إشارةً إلى أنَّ القرآن رحمة لأنَّ إنزالَه مِن مقتضى رحمة الله -عز وجل- أليس من الممكن أن يقال: تنزيلٌ من الله؟

نعم، كما جاء في آياتٍ أخرى لكنَّه قال: من)الرحمن الرحيم(إشارة إلى أنَّ هذا القرآن نزَل بمقتضى رحمة الله -عز وجل- وأنَّ الله رحِمَ به العباد.

 يقول ابن عاشور:
وإيثار الصفتين)الرحمن الرحيم(على غيرهما من الصفات العَلية؛ للإيماء إلى أن هذا التنزيل رحمة من الله بعباده ليخرجهم من الظلمات إلى النور
كقوله تعالى: {فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَة ٞمِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞۚ } [سُورَةُ الأَنۡعَامِ: ١٥٧]

والجمع بين صفتي)الرحمن الرحيم(للإيماء إلى أن الرحمة صفة ذاتيَّة لله تعالى، وأن متعلقها منتشر في المخلوقات، وفي ذلك إيماء إلى استحماق الذين أعرضوا عن الاهتداء بهذا الكتاب بأنهم أعرضوا عن الرحمة.

♦ اقتران اسم (الرحيم) مع اسم (الغفور):-

● جاء اسم (الغفور) مع اسم (الرحيم) في كلام الله ما يقارب ٧٦ مرة.

● جاء سياق القرآن الكريم بتقديم اسم (الغفور) على اسم (الرحيم) في كل آياته إلا في آية في بداية سورة سبأ.

 جاء تقديم اسم (الغفور) على اسم (الرحيم) للأسباب التالية:-

☆المغفرة كما بَيَّنَ العلماء سلامة، والرحمة غنيمة، فقدمت السلامة على الغنيمة تقديم أولوية.

☆المغفرة خاصة بالمؤمنين والرحمة عامة، فقدم الخاص على العام.

☆في كثير من الآيات جاءت المغفرة مباشرة بعد طلبها، فوافق تقديم المغفرة على الرحمة لطلبها، كما في قوله تعالى:
{دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا}
[سُورَةُ النِّسَاءِ: ٩٦]

☆المغفرة تعني ستر الذنوب، وقد يتبع الستر الرحمة، والستر يكون بين العبد وربه، والرحمة تظهر آثارها في الآخرة، والدنيا مقدمة في الترتيب الزمني على الآخرة.

□ ومن ثمار اقتران اسمي الله (الغفور) (الرحيم)، أن المغفرة تَخليه عن الذنوب، والرحمة تَحلية بالفضل والثواب، لأن العبد يتخلى عن ذنوبه ثم بعد ذلك يتحلى بالفضل والثواب.

فأعظم حظ للعبد من التعبد لله -عز وجل- باسميه (الغفور) (الرحيم) أن يسأل الله -عز وجل- أن يغفر له الذنوب، وأن يرحمه بل ويخصه بمزيد من الرحمة.

كذلك يجب على العبد أن يتعامل مع البشر بالجمع بين المغفرة لهم، وذلك بقبول أعذارهم، وأيضاً بالرحمة والعفو.

□ تقديم اسم (الرحيم) على اسم (الغفور) في آية سبأ:-

قال الله تعالى:
{ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ} {يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ}
[سُورَةُ سَبَإٍ: ١-٢]

القرآن الكريم هو خطاب الله تعالي للمٌكلفين من الثقلين، وأكثر ما يهم الثقلين هو معرفة ثمرة أعمالهم التكليفية التي عملوها، ولما كان من جملة ما يقع على الأرض أعمال المكلفين، وكذلك من جملة ما يعرج إلى السماء أعمال المكلفين.

أشارت الفاصلة هنا إلى أن هذه الأعمال مهما بلغ حسنها لا تُكافئ نِعم الله على العبد، ولا تصلح ثمناً لبلوغ جنته ورضوانه، لكنها سبيل إلى الوصول إلى رحمته ومغفرته وهذا الأخير سبيل إلى دخول الجنة والفوز برضا الله تعالى.

ولما كان المقام هنا مقام تفضل وإنعام، وإحسان وإكرام قدمت الرحمة على المغفرة، لأن المغفرة لا تكون إلا عن ذنب وتقصير ولم يذكر في الآية تصريح بذلك.

وأما الرحمة فهي عامة إذ هي من الله، فالإنعام والإفضال يشمل كل الكائنات، وأما الرحمة الخاصة، فلا تكون إلا للمؤمنين المتقين، فالرحمة شملتهم جميعاً، والمغفرة تخص بعضاً والعموم قبل الخصوص بالرتبة.

♦اقتران اسم (الرحيم) مع اسم (العزيز):-

- اقترن اسم الله (الرحيم) مع اسم (العزيز) في القرآن الكريم ١٣ مرة.

- إن اقتران هذين الاسمين (الرحيم) (العزيز) يَدُل على الكمال والعدل والحمد والعزة والرحمة، وذلك ببيان أنه سبحانه مع كونه عزيزًا قويًا غالبًا قاهرًا لكل شيء، فلا ينفي أن يكون رحيمًا برًا محسنًا.

● ولا يعني كونه سبحانه رحيمًا بعباده أن لا يكون قويًا غالبًا، فرحمته سبحانه ناشئة عن قدرة، وقوة، وعزة لا عن ضعف، وعجز.

فرحمة الإنسان إذا زادت انقلبت إلى ذلة، فقد يذل الأب أو الأُم من أجل الأبناء حتى لا يصيبهم شيء.

● اجتماع الوصفين (الرحيم) (العزيز) يدل على صفة كمال ثالثة وهي:
جريان عزته - سبحانه وتعالى - على سُنن الرحمة التي تستلزم إفاضة الخير والإحسان.

قال تعالى:
{وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ}
[سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: ٢١٧] والتوكل هو اعتماد القلب على الله تعالى، في جلب المنافع، ودفع المضار، مع ثقته به، وحسن ظنه بحصول مطلوبه، فإنه عزيز رحيم، بعزته يقدر على إيصال الخير، ودفع الشر عن عبده، وبرحمته به، يفعل ذلك.

● ومن ثمرات الإيمان باسمَي الله (الرحيم) (العزيز)، أن يجمع العبد بين رحمتهِ وعزتهِ، فلا تكون الرحمة مع ضعف وعجز.

♦اقتران اسمه (الرحيم) باسمه (التواب):-

● جاء هذا الاقتران في ٩ مواضع من القرآن منها قوله تعالى:
{فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }
[البقرة: ٣٧]

وقوله تعالى:

{أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [التوبة: ١٠٤]

وقوله تعالى:
{فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا} [النساء: ١٦]

● اقتران (الرحيم) (التواب) أن من آثار وثمار رحمة الله تعالى توفيقه لعباده إلى التوبة ثم قبولها منهم،
وتوفيق العبد للتوبة ثم قبولها منه يترتب عليه حسن العاقبة، والنجاة من عذاب الله تعالى وتلك رحمة خاصة.

قال تعالى:
{وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيكُم وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعونَ الشَّهَواتِ أَن تَميلوا مَيلًا عَظيمًا} [النساء: ٢٧]

بل إنه سبحانه من عظيم رحمته بعبده أنه يفرح بتوبته فرحًا عظيمًا، كما جاء في الحديث الصحيح:
(لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِن أَحَدِكُمْ كانَ علَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ منه وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فأيِسَ منها، فأتَى شَجَرَةً، فاضْطَجَعَ في ظِلِّهَا، قدْ أَيِسَ مِن رَاحِلَتِهِ، فَبيْنَا هو كَذلكَ إِذَا هو بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فأخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قالَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ)

● ومن ثمرات الإيمان باسمَي الله (الرحيم) (التواب) أن يقبل العبد أعذار الآخرين ويعفو عنهم، لما يترتب على ذلك من حُسن العاقبة.

♦اقتران اسم (الرؤوف) باسم (الرحيم):-

● جاء هذا الاقتران في ٨ آيات من القرآن الكريم منها:
قوله تعالى:
{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}
[البقرة: ١٤٣]

● معنى (الرؤوف) أي الرأفة، الرحمة، وقيل أشد من الرحمة، وقيل أخص من الرحمة وأرق.

● هذه الآية فيها طمأنة للمسلمين على إيمانهم وعلى صلاتهم، وأنهم ليسوا على ضلال، وأن صلاتهم لم تضع، لذلك ناسب ختامها اقتران هذين الاسمين)الرؤوف الرحيم(، فإن ذلك كله من رأفة الله -سبحانه وتعالى- بعباده ورحمته بهم.

ولما كان هذا في حال المؤمنين الأوائل مع رسول ﷺ لم يقتصر على ذكر الرحمة فحسب بل أكد ذلك بالرأفة وهي أشد الرحمة.

● إذا تأملنا مواضع القرآن الكريم التي اقترن فيها)الرؤوف الرحيم (وجدنا أنها لا تخرج عن امتنان الله سبحانه على عباده بأمر ديني أو دنيوي، فكل ما وهبه الله -سبحانه وتعالى- لعباده من خير، أو ما دفعه عنهم من سوء، فهو من رأفته ورحمته بهم.

● من ثمرات إيمان العبد باسمَي الله)الرؤوف الرحيم (أن يرأف العبد بحال الآخرين ويرحمهم.

● ذكر البعض أن الفرق بين)الرؤوف الرحيم(، أن (الرحيم) اسم جامع يشمل العطف، والنعمة والإحسان، (الرؤوف) يدل على أن الرحمة القوية التي تُعطى لمن يستحقها.

والجمع بين الوصفين في آية البقرة، {إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ} [البقرة: ١٤٣] لافادة أن الله يرحم الرحمة القوية لمستحقيها، ويرحم مطلق الرحمة مَن دون ذلك.

♦اقتران اسمي الله)الرحيم الودود(

● جاء اقتران)الرحيم الودود (مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك في قوله سبحانه:
{وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} [هود: ٩٠].

● وجه الارتباط بين)الرحيم الودود(
أن معنى (الودود) الذي يُحَب ويحب عباده التوابين المنيبين؛وهذا من موجبات رحمته.

● يقول الشيخ السِعدي -رحمه الله تعالى- عند قوله تعالى:
{رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} [هود: ٩٠] لمن تاب وأناب؛ يرحمه فيغفر له، ويتقبل توبته ويحبه، ويحبونه، فهو فعول بمعنى فاعل ومعنى مفعول.

● يقول ابن القيم:
(وما ألطف اقتران اسم الله)الودود بالرحيم وبالغفور(فإن الرَجُل قد يغفر لمن أساء إليه ولا يحبه، وكذلك قد يَرحم من لا يُحب، ومعنى (الودود) من أسمائه تعالى أنه يحب عباده المؤمنين، ويحبونه، وقد تتوجه الرحمة إلى من لا نُحب، أما (الرب) تعالى فإنه يغفر لعبده إذا تاب ويرحمه ويحبه مع ذلك، فإذا تاب العبد إلى ربه أحبه ربه سبحانه ولو كان منه ما كان.

● وقد اختار شعيب)الرحيم الودود(وهو يدعو قومه إلى الاستغفار والتوبة، وذلك ليُطمعهم في توبة الله -عز وجل- عليهم وأنها مقتضى رحمته سبحانه ومحبته -عز وجل- للمنيبين إليه.

● من ثمرات الجمع بين اسميه)الرحيم والودود(أن يرحم العبد غيره ويتودد إليهم على قدر استطاعته.

♦اقتران اسمه (الرحيم) باسمه سبحانه (البَرّ)

● جاء هذا الاقتران مرة واحدة في القرآن وذلك في قوله تعالى عن أهل الجنة:
{إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ} [الطور: ٢٨]

● (البَرّ) هو المُحسن الرفيق المتفضل، وهذه الصفات هي من موجبات رحمته الخاصة بعباده المؤمنين.

فبرُّ الله -عز وجل- بعباده الذي هو عبارة عن توالي مننه، وتتابع إحسانه وإنعامه أثر من آثار رحمته الواسعة التي غمرت الوجود، وتقلب فيها كل موجود، وعن طريق تلك المِنن الجزيلة، وذلك الإحسان العميم عرف العباد أن ربهم رحيم.

● اقتران (البَر) بـ (الرحيم) لعله من اقتران المسبَّب بالسبب.

● تقديم (البَرِّ) على (الرحيم) أبلغ في المدح، والثناء بالترقي من الأخص إلى الأعم، ومن المسبب إلى السبب

♦ اقتران اسمه (الرحيم) باسمه (الرب)

قال تبارك وتعالى:
{سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ} [يس: ٥٨]

وقال سبحانه:
{بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ} [سبأ: ١٥]

- بتأمل هذه الأسماء المقترنة باسم (الرب) تعالى نجد أن فيها صفة الرحمة والمغفرة، وفي هذا التأكيد على أن من أخص صفات (الرب) -عز وجل- الرحمة والرأفة بعباده وأنها من موجبات ربوبيته.

- من صفات (الرب) تربيته لعباده، وإنعامه عليهم، وإرسال الرُسل إليهم وانذارهم وتبشيرهم، وهذه هي من لوازم التربية العامة، وأما التربية الخاصة من الله -عز وجل- لأوليائه بتوفيقهم، وحفظهم، ورعايتهم، وتربيتهم. فَالرحمة، والرأفة، والمغفرة واضحة جلية في ذلك.

- من ثمرات الإيمان باسمَي الله) الرب الرحيم (تربية النفس على أن تستشعر طوال الوقت أنك عبد لله، رب يرحم ويغفر، فَتتعامل مع العباد بالود والرحمة والرأفة.

(الدرس السادس)

هذا هو الدرس السادس من شرح اسم الله (الرحمن الرحيم .)أسأل الله -عز وجل- أن يفتح لنا فتحاً مبيناً، وأن لكل ما يُحب ويرضى، وأن

يوفقنا للعيش معه بكل أسمائه الحُسنى، وأن يرزق قلوبنا جنة معرفتهِ والتعبد له سبحانه بجميع أسمائه الحُسنى.

وفي هذا الدرس سوف أتحدث عن:

- صفات عباد الرحمن التي ذكرها الله -عز وجل- في سورة الفرقان.
- بعض الوقفات التدبرية التي ذكرها بعض المفسرين عن عباد الرحمن.

ذكرت في الدرس الماضي أن أكبر حظ وأعظم ثمرة يخرج بها العبد من التعبد لله -عز وجل- باسميه)الرحمن الرحيم (أن يكون من عباد الرحمن.

كذلك أشارت إلى أنه سوف يكون لنا وقفة في هذا الدرس مع عباد الرحمن، وصفاتهم التي ذكرها الله -عز وجل- في سورة الفرقان.

- عندما تناولنا اسم الله (العليم)، ذكرت
أن أكبر حظ يخرج منه العبد من دراسته لهذا الاسم أن يتعبد لله -عز وجل- باسمه (العليم) وأن يجتهد في طلب العلم، لذا كانت لنا وقفة مع طلب العلم .

- وعند تناولنا اسم الله (الرب)، ذكرت أن أكبر حظ يخرج منه العبد من دراسته اسم الله (الرب) أن يكون من الربانيين، وكانت لنا وقفة تدبرية حول قوله تعالى: {وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ} [آل عمران: ٧٩]

□ أيضاً أشارت إلى أن من ثمرات الإيمان باسم (الله - الإله) أن يجتهد العبد في تحقيق العبودية الحقة لله -عز وجل- بأن يسعى لتحقيق قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الطور: ٥٦]

□ والآن بعد دراستنا لاسمي الله)الرحمن الرحيم(، فإن أكبر حظ وأعظم ثمرة يخرج بها العبد هو أن يكون من عباد الرحمن.

□ فمن هم عباد الرحمن، وما هي صفاتهم؟

قال الله -عزوجل- في بداية سورة الفرقان:
{تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا} [سُورَةُ الفُرْقَانِ: ١]

بدأ الله -عز وجل- السورة بصِفَةِ مَدْحٍ وَثَنَاءٍ للنبي ﷺ؛ لِأَنَّهُ أَضَافَهُ إِلَى عُبُودِيَّتِهِ، ولم يقل -عز وجل- (نزل الفرقان على رسوله)؛ فهذه أشرف مقامات الإنسان أن يكون عبدًا لله -عز وجل- ثم خُتمت السورة بكلمة بالعبودية أيضاً، قال تعالى:

{وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا} [الفرقان: ٦٣]
أضافهم إلى عبوديته تشريفاً لهم

✓الصفة الأولى:)التواضع)

من صفات عباد الرحمن التواضع بحيث لا تضيع هيبة الإنسان ووقاره، بل يكون مُتزناً لا مُتبختراً ولا مُتكبراً على الخلق.

✶جاء في تفسير الإمام القرطبي:

(هَوْنًا): الهون مصدر الهين، وهو من السكينة والوقار.
وفي التفسير؛ يمشون على الأرض حُلماء متواضعين، يمشون في اقتصاد. والقصد والتؤدة وحسن السمت من أخلاق النبوة.

فلا يكون العبد مجالًا للسُخرية، بل يمشي وعليه سكينة ووقار حتى تضيع هيبته.

✶يقول الشيخ السِعدي في قوله:
{وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ}

العبودية لله نوعان: عبودية لربوبيته فهذه يشترك فيها سائر الخلق مُسلمهم وكافرهم، بَرَهم وفاجرهم، فكلهم عبيد الله مربوبون مدبرون.
عبودية ألوهيته وعبادته ورحمته وهي عبودية أنبيائه وأوليائه وهي المراد هنا ولهذا أضافها إلى اسمه)الرحمن(إشارة إلى أنهم إنما وصلوا إلى هذه الحال بسبب رحمته، وذكر أن صفاتِهم أكمل الصفات ونُعوتهم أفضل النعوت، فوصفهم بأنهم {يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا} أي ساكنين متواضعين لله ولعبادهِ لا يتبختررون.

فعن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- أنه رأى غُلاماً يتبختر في مشيته فقال له: (إن البخترة مشية تكره إلا في سبيل الله).

وقَدْ حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ في نُصح ابنه فقال:
{وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا} [لقمان:١٨]
أي: بطراً، فخراً بالنعم، ناسياً المُنعم، مُعجباً بنفسك.

✶يقول ابن عاشور:

والتخلّق بهذا الخلق مظهر من مظاهر التخلق بالرحمة المناسب لعباد الرحمان لأن الرحمة ضد الشدة ، فالهوْن يناسب ماهيتَها وفيه سلامة من صدم المارين.

✓الصفة الثانية:

{وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان: ٦٣]

من صفات عباد الرحمن الإعراض عن الجاهلين وحملهم على قدر عقولهم، فلا يخوض العاقل معهم في سفههم وجهلهم.

✶يقول الطبري:

وإذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهونه من القول، أجابُوهم بالمعروف من القول، والسداد من الخطاب. فهذا يتضمن وصفهم بالحلم والصفح والعفو والإعراض عن الجاهلين.

{وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}

أي إذا جهل عليهم جاهل أو خاطبهم سفيه بما لا يليق تغاضوا عنه، وحملوه على عقله -أي على قدر ما يفهمه عقله- ولم يُجاروه في سفهه.

بل قابلوا تلك الأخلاق السيئة بخلقٍ حسن، لأن هذا السَفه يدل على قصور العقل ونقص الرأي، فمن الحكمة ألا ينزل العاقل لهذا قصور في العقل أو النقص في الرأي، فلا يخوض في سفه ولا يخوض معه في جهل.

وكان النبي ﷺ يُعرض عن الجاهلين، وقال الله -عز وجل- عنه:
{وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤]

□ مواقف من حلم النبي ﷺ على الجاهلين:

أتى أعرابي إلى النبيﷺ الله عليه وسلم، فأخذ بردائه فجذبه جذبة شديدة، قال أنس -رضي الله عنه- حتى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ، وقد أثرت فيه حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مُر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه، النبي ﷺ فضحك وأمر له بعطاء، وفي رواية أن الأعرابي قال للنبي: أَعْطِنِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فإنك لا تعطي من مالك ولا مال أبيك، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ.

لقد جمع النبي ﷺ في هذا الموقف بين الحلم والصبر على جفاء الأعرابي وغلظته، وبين الإحسان إليه، بل أضاف إلى الموقف الابتسامة والضحك، وفيه احتمال الجاهلين والإعراض عن مقابلتهم، ودفع السيئة بالحسنة

✶يقول الشيخ السِعدي:

{وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}
أي خاطبوهم خطاباً يسلمون فيه من الإثم ويسلمون من مقابلة الجاهل بجهله. وهذا مدح لهم، بالحلم الكثير ومقابلة المسيء بالإحسان والعفو عن الجاهل ورزانة العقل الذي أوصلهم إلى هذه الحالأي خاطبوهم خطابًا يسلمون فيه من الإثم.

✓الصفة الثالثة:

{وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا}

[الفرقان: ٦٤]

من صفات عباد الرحمن أيضاً الاجتهاد في قيام الليل، فهم يحيون الليل، ويحيون من الليل ما يحيون سجدًا وقيامًا، يُراوِحون بين السجود والقيام ويبيتون الليل سجدًا وقِيامًا.

ذكر سُجدًا قبل قيامًا، لأن الدعاء في السجود من أسباب قبول الدعاء، والدعاء آخر الليل من أسباب القبول

قال تعالى:
{كَانُواْ قَلِيلࣰا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ} {وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ}
[سُورَةُ الذَّارِيَاتِ: ١٧-١٨]
أي كان نومهم بالليل قليلاً، فإنهم قانتون لربهم ما بين صلاة وقراءة وذكر، ودعاء وتضرع.

كذلك قال الله -عز وجل-
{تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفࣰا وَطَمَعࣰا}
[سُورَةُ السَّجۡدَةِ: ١٦]

أي ترتفع جنوبهم من المضاجع إلى ما هو أفضل عندهم منه وأحب إليهم، وهو الصلاة في الليل، ومناجاة الله تعالى خوفًا من عذاب الله، وطمعًا في ثوابه.

وعندما يجتمع السجود مع القيام في الثُلُث الأخير من الليل يكون أنسب و أحرى بإجابة الدعاء.

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله ﷺ: "إذا كان ثُلُثُ الليلِ أو شَطْرُه يَنزِلُ اللهُ إلى سماءِ الدنيا فيقولُ هل من سائلٍ فأُعطيَه هل من داعٍ فأستجيبَ له هل من تائبٍ فأتوبَ عليه هل من مستغفرٍ فأغفرَ له حتى يَطْلُعَ الفجرَ"

✶جاء في التفسير الوسيط في قوله تعالى:

{وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا} [الفرقان: ٦٤]

أي إن من صفات عباد الرحمن أنهم يقضون جانبًا من ليلهم تارة ساجدين على جباههم لله تعالى، وتارة قائمين على أقدامهم بين يديه سبحانه، وخص وقت الليل بالذكر لأن العبادة فيه أخشع وأبعد عن الرياء.

كقوله تعالى:
{تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا} [سُورَةُ السَّجْدَةِ: ١٦]

وقوله -عز وجل-
{أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ} [سُورَةُ الزُّمَرِ: ٩]

أي مُطيع لله بأفضل العبادات وهي الصلاة، وأفضل الأوقات وهو أوقات الليل، فوصفه بكثرة العمل وأفضله، ثم وصفه بالخوف من عذاب الآخرة على ما سلف من الذنوب، والرجاء لرحمة الله -عز وجل-، فوَصَفَهُ بالعمل الظاهر والباطن.

✓الصفة الرابعة:

{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا} {إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا}
[الفرقان: ٦٥- ٦٦]

✶يقول الشيخ السِعدي:

{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ } أي ادفعه عنا بالعصمة من أسبابه ومغفرة ما وقع منا مما هو مقتض للعذاب.

{إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا} أي مُلازماً لأهلها بمنزلة ملازمة الغريم لغريمه.

الكفار مُخلدون في النار أبدًا، أما المؤمن قد يُعذب على قدر معاصيه، ويتوب الله على من تاب.

{إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا}
وهذا منهم على وجه التضرع لربهم، وبيان شدة حاجتهم إليه وأنهم ليس في طاقتهم احتمال هذا العذاب، وليتذكروا منة الله عليهم، فإن صرف الشدة بحسب شدتها وفظاعتها يعظم وقعها ويشتد الفرح بصرفها -عافانا الله من عذاب جهنم-.

✓الصفة الخامسة:
(التوسط والاعتدال)

{وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا} [الفرقان: ٦٧]

بَيَنَّ الله -عز وجل- حال عباد الرحمن
في سلوكهم ومعيشتهم وإنفاقِهم للمال، فهم يتصفون بالتوسط والاعتدال، فهم ليسوا مُسرفين ولا بُخلاء.

✶يقول الشيخ السِعدي:

أي النفقات الواجبة والمستحبة، {لَمْ يُسْرِفُوا} بأن يزيدوا على الحد فيَدخلوا في قسم التبذير وإهمال الحقوق الواجبة، {وَلَمْ يَقْتُرُوا} فيَدخلوا في باب البُخل والشح {وَكَانَ} إنفاقهم {بَيْنَ ذَلِكَ} بين الإسراف والتقتير {قَوَامًا} يبذلون في الواجبات من الزكوات والكفارات والنفقات الواجبة، وفيما ينبغي على الوجه الذي ينبغي من غير ضرر ولا ضرار وهذا من عدلهم واقتصادهم.

إن التوسط والاعتدال في إنفاق المال سمة العقلاء، ينفقون المال بلا إسراف ولا بُخل.

✅الصفة السادسة:

كذلك من صفات عباد الرحمن (اجتناب الشرك وكبائر الذنوب)

{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا} [الفرقان: ٦٨]

✴يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

أكبر الكبائر ثلاث؛ الكفر، ثم قتل النفس بغير حق، ثم الزنا كما جاء في ترتيب آية سورة الفرقان:

{وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ}
هذا هو الشرك والكفر.

{وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} ثم قتل النفس بغير الحق.

{وَلَا يَزْنُونَ} ثم الزنا.

وفي الصحيحين من حديث عبدالله بن مسعود قال: "أيُّ الذنبِ أعظم؟ قال: أن تجعل لله نِدًّا، وهو خَلَقَكَ، قلت: ثم أَيٌّ؟ قال: ثم أن تقتل ولدك خَشْيَةَ أن يأكل معك، قلت: ثم أَيٌّ؟ قال: ثم أن تُزَانِي حَلِيْلَةَ جَارِكَ."

ولهذا الترتيب وجه معقول؛ وهو أن قوى الإنسان ثلاث: قوة العقل، وقوة الغضب، وقوة الشهوة. فالإنسان يستخدم عقله في معرفةِ ربه، فلا يكفر بالله ولا يشرك به. وقوة الغضب يمتلك نفسه فلا يقتل أحد بغير حق. وقوة الشهوة يملك شهوته بحيث لا يقع في الزنا. {وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا}

 فما هي الآثام التي سوف يلقاها؟

{يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا}

فالوَعيد بالخلود لمن فعلها كلها ثابت لا شك فيه وكذا لمن أشرك بالله، وكذلك الوعيد بالعذاب الشديد على كل واحد من هذه الثلاثة لكونها إما شرك وإما من أكبر الكبائر.

وأما خلود القاتل والزاني في العذاب فإنه لا يتناوله الخلود، لأنه قد دلت النصوص القرآنية والسنة النبوية أن جميع المؤمنين سيخرجون من النار ولا يخلد فيها مؤمن ولو فعل من المعاصي ما فعل، فلا يُخلد في النار إلا المشرك الكافر.

ونص تعالى على هذه الثلاثة لأنها من أكبر الكبائر: فالشرك فيه فساد الأديان، والقتل فيه فساد الأبدان، والزنا فيه فساد الأعراض.

 واستُثنى من ذلك:

{إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}
[الفرقان: ٧٠]

✶يقول ابن كثير:

تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات، وما ذاك إلا أنه كلما تذكر ما مضى ندم واسترجع واستغفر، فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار. فيوم القيامة وإن وجده مكتوبا عليه لكنه لا يضره وينقلب حسنة في صحيفته.

لذا التوبة النصوح لابد أن يكون معها ندم دائم واسترجع، وليس شرطاً أن يكون الذنب كبيراً، فكلنا أصحاب ذنوب ومعاصي، بل نستغفر ونندم على التقصير في حق الله وفي الطاعة، يقول الله -عز وجل-:
{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}

□ فما فائدة التكرار؟
{إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} {وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا} [سُورَةُ الفُرْقَانِ: ٧٠-٧١]

□ التكرار هنا لتأكيد التوبة، وقطع الصلة بين العبد وبين معاصيه السابقة بالندم عليها والعمل الصالح.

الله -سبحانه وتعالى- يُرغبنا في التوبة حتى لا يزهد العبد من التوبة والاجتهاد فيها. فمن حب الله لعباده أنه يوفقه للتوبة. الله -سبحانه وتعالى- هو من ألهم سيدنا آدم الكلمات التوبة
قال تعالى:
{فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ}
[سُورَةُ البَقَرَةِ: ٣٧]

{قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ}
[سُورَةُ الأَعۡرَافِ: ٢٣]

 توبة العبد محفوفة بتوبتين من الله تعالى:

توبة قبلها: وهي أن يوفقه الله -عز وجل- للتوبة ويمن عليه بها، وهذه تُعرف بحصولها ووقوعها من العبد.
فإذا ألهم الله العبد التوبة فقد تاب عليه أولاً.

توبة بعدها: فإذا تاب العبد أتبع ذلك توبة أخرى من الله عليه، يمن ويتفضل بها وهي قبوله لتلك التوبة وعفوه عن الزلة.

فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال رسول ﷺ: "اللهُ لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِن أَحَدِكُمْ كانَ علَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ منه وَعليها طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فأيسَ منها، فأتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ في ظِلِّهَا، قدْ أَيِسَ مِن رَاحِلَتِهِ، فَبيْنَا هو كَذلكَ إِذَا هو بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فأخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قالَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ."

✓الصفة السابعة:

(لا يحضرون الزور من القول والفعل المحرم)

{وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ} [الفرقان: ٧٢]

✶يقول ابن جُزي:
جاء في تفسير "التسهيل لعلوم التنزيل" {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ}

أي لا يشهدون بالزور، وهو الكذب، فهو من الشهادة وقيل معناه لا يحضرون مجالس الزور واللهو، فهو على هذا من المُشاهدة والحضور.

والأول أظهر {وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} (اللَّغْوِ) هو الكلام القبيح على إختلاف أنواعه، ومعنى (مَرُّوا كِرَامًا) أي أعرضوا عنه، واستحيوا ولم يدخلوا على أهله تنزيهاً لأنفسهم عن ذلك.

□والمقصود من كلام ابن الجُزي؛
{وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ}
على قولين: الأول أي لا يشهدون بالزور، وهو الكذب، فهو من الشهادة وهذا هو القول الأظهر والأرجح .
والقول الثاني أن لا يحضرون مجالس الزور واللهو، فهو على هذا من المُشاهدة والحضور.

✶يقول الشيخ السِعدي:
{وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ}

أي لا يحضرون الزور، أي القول والفعل المُحرم، فيَجتنبون جميع المجالس المشتملة على الأقوال المحرمة والأفعال المحرمة، كالخَوض في آيات الله والجدال الباطل والغيبة والنميمة والسب

والقذف والاستهزاء والغناء المحرم وشرب الخمر وفرش الحرير، والصور ونحو ذلك، وإذا كانوا لا يشهدون الزور فمن باب أولى وأحرى أن لا يقولوه أو يفعلوه؛ وشهادة الزور داخلة في قول الزور، تدخل في هذه الآية بالأولوية.

✶جاء في التفسير الوسيط:

أن أصل (الزُّورَ) تحسين الشيء ووصفه بغير صفته، (الزُّورَ) أي وضع الشيء في غير الموضع اللائق به، مأخوذ من (الزَور) بمعنى الميل والانحراف عن الطريق المستقيم إلى غيره.

✓الصفة الثامنة:

(عدم الخوض في الكلام الذي لا خير فيه)

{وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} [الفرقان: ٧٢]

✶يقول الشيخ السِعدي:

(اللَّغْوِ) أي الكلام الذي لا خير فيه، ولا فيه فائدة دينية ولا دنيوية، مثل كلام السُفهاء ونحوهم.

قال تعالى:
{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} {وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ}
[سُورَةُ المُؤْمِنُونَ: ١-٣]

إن الخشوع في الصلاة هو حضور القلب بين يدي الله تعالى، مستحضراً لقربه، فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، وتسكن حركاته، ويقل التفاته، متأدبا بين يدي ربه، مستحضرا جميع ما يقوله ويفعله في صلاته، من أول صلاته إلى آخرها ولا يحدث ذلك إلا بالإعراض عن (اللَّغْوِ) أي الكلام الذي لا خير فيه ولا فائدة.

{مَرُّوا كِرَامًا} أي نزهوا أنفسهم وأكرمُوها عن الخَوض فيه، ورأوا أن الخوض فيه وإن كان لا إثم فيه فإنه سَفه ونقص للإنسَانية والمروءة، فرَبأوا بأنفسهم عنه.

وفي قوله: {وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ} إشارة إلى أنهم لا يقصدون حضوره ولا سماعه، ولكن عند المصادفة التي من غير قصد يكرمون أنفسهم عنه.

الصفة التاسعة:

(الإقبال على آيات الله بالأسمَاع والقلوب)

{وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا}
[سُورَةُ الفُرْقَانِ: ٧٣]

يقول ابن جُزي:

أي لم يُعرضوا عن آيات الله، بل أقبلوا عليها بأَسْمَاعِهم وقلوبهم.

✶يقول الشيخ السِعدي:

{وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ} التي أمرهم باستماعها والاهتداء بها، {لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا} أي لم يقابلوها بالإعراض عنها والصمم عن سماعها وصرف النظر والقلوب عنها كما يفعله من لم يؤمن بها ولم يصدق، وإنما حالهم فيها وعند سماعها كما قال تعالى:
{إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا۩ وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ} [سُورَةُ السَّجۡدَةِ: ١٥] يقابلونها بالقبول والافتقار إليها والانقياد والتسليم لها، وتجد عندهم آذاناً سامعة وقلوباً واعية، فيزداد بها إيمانهم ويتم بها إيقانهم وتحدث لهم نشاطاً ويفرحون بها سروراً واغتباطاً.

هكذا هو حال المؤمن، يتجاوب بمشاعره مع القرآن، فعند الوعد بالجنة يستبشر، وعند الوعيد يُوجل القلب ويخاف.

☑الصفة العاشرة:

من صفات عباد الرحمن (التضرع لله -عز وجل- بخير الدعاء)

{وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا} [سُورَةُ الفُرۡقَانِ: ٧٤]

إن الدعاء من أعظم العبادات التي تدل على يقين العبد وصدق إيمانه بالله تعالى، وهي صفة من صفات عباد الرحمن

والمسلم يدعو الله -عز وجل- بما يتيسر له من كلمات، بشرط أن تكون كلماتُ الدعاء كلماتٍ شرعيةً صحيحةً، ليس فيها تعدٍّ ولا تجاوز؛ والأفضل والأكمل والأمثل هو الحرص على حفظ صيغ

الدعاء من القرآن الكريم والسنة النبوية، فكل المنافع الدنيوية والمصالح الأخروية في ما علمنا الله من الأدعية في القرآن الكريم، وما بينها لنا النبيُّ ﷺ في السُنة النبوية.

✶جاء في تفسير البغوي:

ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مُطيعين لله -عز وجل-

✶قال الشيخ السِعدي:

يدعون الله بأكمل الدعاء الذي ينتفعون به من صلاح أزواجهم وذرياتهم؛ ومن لوازم ذلك سعيهم في تعليمهم ووعظهم ونصحهم، لأن من حرص على شيء ودعا الله فيه، لابد أن يكون متسببًا فيه.

{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا} أي قرنائنا من أصحاب وأقران وزوجات، {وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ} أي تقر بهم أعيننا.

وإذا استقرأنا حالهم وصفاتهم عرفنا من هممهم وعلو مرتبتهم أنهم لا تقر أعينهم حتى يروهم مطيعين لربهم عالمين عاملين وهذا كما أنه دعاء لأزواجهم وذرياتهم في صلاحهم فإنه دعاء لأنفسهم لأن نفعه يعود عليهم ولهذا جعلوا ذلك هبة لهم فقالوا:
{هَبْ لَنَا} بل دعاؤهم يعود إلى نفع عموم المسلمين لأن بصلاح من ذكر يكون سببا لصلاح كثير ممن يتعلق بهم وينتفع بهم.

{وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} أي أوصلنا يا ربنا إلى هذه الدرجة العالية، درجة الصديقين والكمل من عباد الله الصالحين وهي درجة الإمامة في الدين وأن يكونوا قدوة للمتقين في أقوالهم وأفعالهم يقتدى

بأفعالهم، ويطمئن لأقوالهم ويسير أهل الخير خلفهم فيهدون ويهتدون.

ومن المعلوم أن الدعاء ببلوغ شيء دعاء بما لا يتم إلا به، وهذه الدرجة -درجة الإمامة في الدين- لا تتم إلا بالصبر واليقين كما قال تعالى:
{وَجَعَلْنَاهم أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}

فهذا الدعاء يستلزم من الأعمال والصبر على طاعة الله وعن معصيته وأقداره المؤلمة ومن العلم التام الذي يوصل صاحبه إلى درجة اليقين، خيرا كثيرا وعطاء جزيلاً وأن يكونوا في أعلى ما يمكن من درجات الخلق بعد الرسل.

تأمل ترتيب الدعاء:

{رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}

جاء الترتيب بصلاح الزوجة أولاً لأنه سوف يترتب عليه صلاح الأولاد، فصلاح المرأة يؤدي إلى صلاح الذرية بترتيبها لهم، فيكون خير عون للرجل على الإمامة في الدين.

وهذا الدعاء لأزواجهم وذريتهم في صلاحهم؛ فإنه دعاء لأنفسهم؛ لأن نفعه يعود عليهم، ويدوم في الدنيا والآخرة.

{وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}

أي واجعلنا أئمة هدىً يقتدي بنا أهل التقوى، في الفعل، والقول، وفي إقامة الدين، وسؤالهم أن يجعلهم أئمة للمتقين يُقتدَى بهم، هو طلب من اللَّه أن يهديهم، ويوفقهم، ويمنَّ عليهم بالعلوم النافعة،

والأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة التي توصلهم إلى هذه المنزلة العليّة.

فيكون الإنسان للمتقين إمامًا حين يكون هو إمامًا على أسرته الصالحة، وقدوة صالحة لهم، فيرزقه الله -عز وجل- قرة عين بأولاد وزوجته، ثم يسأل الله أن يجعله إمامًا للمتقين عامة بعد أن أصبح إمامًا صالحًا لأزواجه ولذريته.

أي أن صلاح الذرية وصلاح الأزواج تعتبر بمثابة الخطوة الأولى للإمامة في الدين بعد ذلك.

كانت هذه صفات عباد الرحمن والتي كانت تحتاج إلى أكثر من لقاء للحديث عنها، ولكني أوجزتهم في عشرة صفات سريعة.

♦ جزاء عباد الرحمن:

{أُوْلَـٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا} [سُورَةُ الفُرۡقَانِ: ٧٥]

✶يقول ابن عاشور:

وتِلْكَ مَجْمُوعُ إحْدى عَشْرَةَ خَصْلَةً وهي: التَّواضُعُ، والحِلْمُ، والتَّهَجُّدُ، والخَوْفُ، وتَرْكُ الإسْرافِ، وتَرْكُ الإقْتارِ، والتَّنَزُّهِ عَنِ الشِّرْكِ، وتَرْكُ الزِّنا، وتَرْكُ قَتْلِ النَّفْسِ، والتَّوْبَةُ، وتَرْكُ الكَذِبِ، والعَفْوُ عَنِ المُسِيءِ، وقَبُولُ دَعْوَةِ الحَقِّ، وإظْهارُ الِاحْتِياجِ إلى اللَّهِ بِالدُّعاءِ

فقد بدأت آيات عباد الرحمن بصفة العبودية وانتهت بالدعاء وهو أيضاً عبادة. لذلك وجب علينا الاجتهاد في عبادة الله -عز وجل- بكثرة الدعاء.

✶يقول الشيخ السِعدي:

لما كانت هممهم ومطالبهم عالية كان الجزاء من جنس العمل فجازاهم بالمنازل العاليات فقال:
{أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا} أي المنازل الرفيعة والمساكن الأنيقة الجامعة لكل ما يشتهى وتلذه الأعين وذلك بسبب صبرهم نالوا ما نالوا كما قال تعالى:
{وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} ولهذا قال هنا:
{وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا} من ربهم ومن ملائكته الكرام ومن بعض على بعض ويسلمون من جميع المنغصات والمكدرات.

□ الحاصل: أن الله وصفهم بالوقار والسكينة والتواضع له ولعباده وحسن الأدب والحلم وسعة الخلق والعفو عن الجاهلين والإعراض عنهم ومقابلة إساءتهم بالإحسان وقيام الليل والإخلاص فيه، والخوف من النار والتضرع لربهم أن ينجيهم منها وإخراج الواجب والمستحب في النفقات والاقتصاد في ذلك.

وإذا كانوا مقتصدين في الإنفاق الذي جرت العادة بالتفريط فيه أو الإفراط، فاقتصادهم وتوسطهم في غيره من باب أولى، والسلامة من كبائر الذنوب والاتصاف بالإخلاص لله في عبادته والعفة عن الدماء والأعراض والتوبة عند صدور شيء من ذلك.

وأنهم لا يحضرون مجالس المنكر والفسوق القولية والفعلية ولا يفعلونها بأنفسهم وأنهم يتنزهون من اللغو والأفعال الردية التي لا خير فيها.

وذلك يستلزم مروءتهم وإنسانيتهم وكمالهم ورفعة أنفسهم عن كل خسيس قولي وفعلي، وأنهم يقابلون آيات الله بالقبول لها والتفهم لمعانيها والعمل بها، والاجتهاد في تنفيذ أحكامها.

وأنهم يدعون الله تعالى بأكمل الدعاء، في الدعاء الذي ينتفعون به، وينتفع به من يتعلق بهم وينتفع به المسلمون من صلاح أزواجهم وذريتهم، ومن لوازم ذلك سعيهم في تعليمهم ووعظهم ونصحهم لأن من حرص على شيء ودعا الله فيه لا بد أن يكون متسببا فيه، وأنهم دعوا الله ببلوغ أعلى الدرجات الممكنة لهم وهي درجة الإمامة والصديقية.

فلله ما أعلى هذه الصفات وأرفع هذه الهمم وأجل هذه المطالب، وأزكى تلك النفوس وأطهر تلك القلوب وأصفى هؤلاء الصفوة وأتقى هؤلاء السادة"
ولله، فضل الله عليهم ونعمته ورحمته التي جللتهم، ولطفه الذي أوصلهم إلى هذه المنازل.

ولله، منة الله على عباده أن بين لهم أوصافهم، ونعت لهم هيئاتهم وبين لهم هممهم، وأوضح لهم أجورهم، ليشتاقوا إلى الاتصاف بأوصافهم، ويبذلوا جهدهم في ذلك، ويسألوا الذي من عليهم وأكرمهم الذي فضله في كل زمان ومكان، وفي كل وقت وأوان، أن يهديهم كما هداهم ويتولاهم بتربيته الخاصة كما تولاهم.

فاللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث، ولا حول ولا قوة إلا بك، لا نملك لأنفسنا نفعا ولا ضرا ولا نقدر على مثقال ذرة من الخير إن لم تيسر ذلك لنا، فإنا ضعفاء عاجزون من كل وجه.

نشهد أنك إن وكلتنا إلى أنفسنا طرفة عين وكلتنا إلى ضعف وعجز وخطيئة، فلا نثق يا ربنا إلا برحمتك التي بها خلقتنا ورزقتنا

وأنعمت علينا بما أنعمت من النعم الظاهرة والباطنة وصرفت عنا من النقم، فارحمنا رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك فلا خاب من سألك ورجاك.

ولما كان الله تعالى قد أضاف هؤلاء العباد إلى رحمته واختصهم بعبوديته لشرفهم وفضلهم ربما توهم متوهم أنه وأيضا غيرهم فلِمَ لا يدخل في العبودية؟

إن أكبر حظ وأعظم ثمرة يخرج بها العبد من دراسة اسمي الله)الرحمن الرحيم(أن يكون من عباد الرحمن.

اسأل الله -عز وجل- أن يجعلنا من عباد الرحمن. أسأل الله -عز وجل- أن يوفقنا للاتصاف بصفاتهم، وأن يوفقنا للتعبد إليه -سبحانه وتعالى- باسميه)الرحمن الرحيم(، وأن يرزقنا أوفر الحظ والنصيب من الاتصاف بالرحمة والحلم والأناة.

أسأل الله العظيم أن يوفقنا لدعائه بهذا الدعاء؛ {رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}

أسأل الله -عز وجل- أن يجعل هذه الكلمات في ميزان حسنات آبائنا وأمهاتنا، وأن يجزيهم عنا خير الجزاء، وأن يجمعنا بهم في الفردوس الأعلى من الجنة دون سابقة عذاب ولا حساب.

